بحوث إسلاميّة هامّة

٢٠

حرية الاعتقاد

في الشريعة الإسلاميّة

عبد الله ناصح علوان

أستاذ الدّراسات الإسلاميّة
بجامعة الملك عبد العزيز بجدة

دار السلام
للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة

الطبعة الأولى ١٤٠٠ هـ = ١٩٨٠م
الطبعة الثانية ١٤٠٥ هـ = ١٩٨٥م

حُرِّيَّةُ الاعْتِقَادِ

في الشريعة الإسلامية

دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع
لصاحبها
عبد القادر محمود البكار

القاهرة ص.ب : ١٦١ غورية . ت : ٩٣٥٦٤٤
حلب ص.ب : ١٨٩٣ . هـ : ١٧٧٦٤
بيروت ص.ب : ١٣٥٣٣٧

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المؤلف

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على من بعثه الله رحمة للعالمين ، وعلى آله وأصحابه والتابعين . . ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

وبعد : فكتابي « قصة الهداية » الذي سيصدر بإذن الله قريباً جداً إلى قراء العربية في كل مكان . . يشتمل في ثناياه على محاضرات قيمة ، وبحوث هامة . . يجدها القارىء في موضعها المناسب من القصة هنا وهناك . .

فرأيت أن أستخلصها واحدة بعد واحدة ، وأنظر ما فيها وازيد إذا احتاج البحث إلى زيادة ، وأحذف إذا رأيت في الحذف ثمة ضرورة . . حتى إذا انتهيت من تنقيحها وتعديلها ، ضممت المحاضرة أو البحث إلى سلسلة « بحوث إسلامية هامة » ، عسى أن يستفيد قراء « السلسلة » من هاتيك المحاضرات

والبحوث ؛ وعسى أن يجدوا فيها الإجابة الشافية على كثير من التساؤلات التي تتصل بنظام الإسلام ، وترتبط بشبهات الأعداء . .

فمن هذه المحاضرات التي ألقيت في موضعها المناسب من القصة محاضرة : « حرية الاعتقاد في الشريعة الاسلامية » التي قام بأداء دورها عند ظهور الشخصيات شخصية « الشيخ سعيد » .

وسوف تجد-أخي القارىء-في بحث «حرية الاعتقاد..» كيف أن الإسلام لم يكره أحداً على الدخول فيه بالقوة ؟ وكيف أنه أعطى لغير المسلمين من الحقوق العادلة السمحة ما لا يمكن أن يحملوا فيه في ظل المبادىء والدساتير ؟ وكيف أنه وقف من المرتدين والملحدين والمنافقين . . موقفاً حازماً شديداً لا هوادة فيه ولا رحمة ؟

الله أسأل أن يجعل أعمالنا خالصة لوجهه الكريم ، وأن يبصر جيلنا الحاضر حقائق هذا الإسلام ، ونظام هذا الدين . . ليقوموا على التنفيذ والتطبيق والتبليغ ما وسعهم إلى ذلك سبيلاً ، عسى الله سبحانه أن يحقق على يد هذا الجيل عز

الإسلام ، ومجد المسلمين ، وهداية البشرية جمعاء . . وما ذلك على الله بعزيز ، وهو بالإجابة جدير .

المؤلف

عبد الله ناصح علوان

مقدِّمَة تمهيد

قبل أن نخوض في موضوع « حرية الاعتقاد في الشريعة الإسلامية » يحسن أن أتكلم - ولو باختصار - عن ثلاث حقائق أساسية لها أكبر الارتباط في هذا البحث الذي نخوض فيه، ونوضح معالمه :

الحقيقة الأولى : خاتمية الرسالة .

الحقيقة الثانية : عالمية الدعوة .

الحقيقة الثالثة : دلائل النبوة .

☆ ☆ ☆

١ - حقيقة خاتمية الرسالة :

كل من عنده شيء من تجرد وفهم يعلم أن محمداً عليه الصلاة والسلام هو خاتم الأنبياء والمرسلين ، وأن رسالته التي كلف بتبليغها هي خاتمة الرسالات والشرائع .

والدليل على ختم النبوة من القرآن الكريم :

﴿ ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين ﴾[١] .

والدليل على ختم النبوة من السنة النبوية :

« مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بيتاً ، فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة ، فجعل الناس يطوفون به ، ويعجبون له ، ويقولون : هلا وضعت اللبنة ؟ ؛ فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين » [٢] .

---

(١) سورة الأحزاب : آية ٤٠ .

(٢) رواه مسلم .

ومن المؤيدات على ختم الرسالة في القرآن الكريم :

ـ قوله تعالى في سورة المائدة : ﴿ **وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه** ﴾[١] .

ـ وقوله في سورة الفتح : ﴿ **هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيداً** ﴾[٢] .

ـ وقوله في سورة آل عمران : ﴿ **ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين** ﴾[٣] .

إلى غير ذلك من هذه الآيات التي تثبت بشكل قاطع جازم أن شريعة الإسلام ناسخة لجميع الشرائع ، وأن رسالة محمد عليه الصلاة والسلام هي خاتمة الرسالات .

---

(١) آية : ٤٨ .

(٢) آية : ٢٨ .

(٣) آية : ٨٥ .

وكانت رسالة الإسلام هي الخاتمة وهي الناسخة وهي المهينة . . لكونها جمعت في طياتها دعوة الأنبياء والرسل السابقين ، وزادت عليها بالتشريع الكامل الأبدي .

وهذا التشريع [١] - كما دلت عليه التجارب والبحوث وشهادة الخصوم - يمتاز بالربانية ، والعالمية ، ويتصف بالخلود والتجدد ، ويحمل في طبيعته خصائص شموله ونموه وامتداده وخلوده . . إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ؛ وصدق الله العظيم القائل :﴿ **اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً** ﴾ [٢] .

☆ ☆ ☆

(١ ارجع إلى كتابنا « حتى يعلم الشباب » تجد فيه خصائص التشريع الإسلامي ومزاياه في فقرة « القرآن دستورنا » .

(٢) سورة المائدة : آية ٣ .

٢ ـ عالمية الدعوة :

هذه الشريعة في كل أحكامها وأنظمتها ومبادئها . . ذات صبغة إنسانية عالمية ، فهي رحمة للعالمين ، وهي هداية للناس كافة ، وهي منهاج للبشرية عامة . .

فليست تشريعاً لجنس خاص من البشر ، أو لإقليم معين من الأرض ، أو لفئة خاصة من الناس بل هي للإنسان من حيث هو إنسان بغض النظر عن لونه أو جنسه أو لغته أو أرضه . . فلا عنصرية في هذه الدعوة ، ولا عصبية في هذا التشريع ، ولا طبقية في هذا الإسلام ، وإنما الناس سواء ، لا فضل لأحد على أحد إلا بالتقوى :

﴿يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾ (١) .

● وهذه العالمية للدعوة الإسلامية قد بينها الله عز وجل في قرآنه في أكثر من آية :

---

(١) سورة الحجرات : آية ١٣ .

- قال تعالى في سورة الأنبياء : ﴿ **وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين** ﴾(١) .

- وقال في سورة سبأ : ﴿ **وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً** ﴾(٢) .

- وقال في سورة الأعراف : ﴿ **قل ياأيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً** ﴾(٣)

● **وأكدها النبي ﷺ في أكثر من مناسبة :**

- روى الشيخان عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال : « أعطيت خمساً لم يعطهنّ أحد من الأنبياء قبلي : نُصرتُ بالرعب مسيرة شهر ، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً ، فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليُصلِّ ، وأحلت لي الغنائم ، وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس كافة ، وأعطيت الشفاعة »(٤) .

---

(١) آية : ١٠٧ .

(٢) آية : ٢٨ .

(٣) آية : ١٥٨ .

(٤) رواه الشيخان واللفظ للبخاري .

ـ ثبت تاريخياً عن طريق الرواية الصحيحة أنه عليه الصلاة والسلام أرسل إلى الملوك والرؤساء في عصره كالنجاشي ، وكسرى ، وقيصر ، والمقوقس .. كتباً يدعوهم فيها إلى الإسلام ..

وكان شعاره في ذلك :

« أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين ، فإن توليت فإنما عليك إثم الأريسيّين » (الفلاحين والعامة) .

فلو لم تكن دعوته عليه الصلاة والسلام عالمية لما أرسل إلى ملوك الأرض يدعوهم بدعاية الإسلام ، ويأمرهم باعتناق هذا الدين .

● ومن المؤيدات لهذه العالمية تحميل القرآن الكريم أمة الإسلام في كل زمان ومكان أمانة التبليغ والدعوة في آفاق الأرض ، ودول العالم . .

وهذا التحميل بينه الله عز وجل في أكثر من آية في كتاب الله :

ـ قال تعالى في سورة آل عمران : ﴿ **كنتم خير أمة**

أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ﴾ .(١) .

- وقال في سورة البقرة : ﴿ **وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً ﴾** .(٢) .

- وقال في سورة يوسف : ﴿ **قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني . . ﴾** .(٣) .

فانطلاقاً من هذه الأوامر الربانية . . انطلق المسلمون في أرجاء الأرض ، وآفاق الدنيا يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحداً إلا الله . .

وشعارهم في ذلك : « ابتعثنا الله لنخرجالناس من عبادة العباد إلى عبادة الله ، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها ، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام »(٤).

---

(١) آية : ١١٠ .

(٢) آية : ١٤٣ .

(٣) آية : ١٠٨ .

(٤) كلام « ربعي بن عامر » أمام « رستم » قائد جيش الفرس في معركة القادسية .

٣ ـ دلائل النبوة :

ومن أميز هذه الدلائل التي ترتبط بموضوع « حرية الاعتقاد » الذي نحن بصدده دليل التبشير بالنبي ﷺ في الكتب السماوية وعلى ألسنة من عرفوا الحق من أهل الملل الأخرى ، وإليكم بيان ذلك :

أ ـ التبشير بالنبي ﷺ جاء صريحاً في القرآن الكريم :

ـ قال تعالى في سورة الصف : ﴿ **وإذ قال عيسى ابن مريم يابني إسرائيل إني رسول الله إليكم مصدّقاً لما بين يدي من التوراة ومبشّراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين** ﴾ .[(١)]

واسم « أحمد » في الآية أحد أسماء الرسول ﷺ ، فقد روى البخاري عن محمد بن جبير ابن مطعم عن أبيه أنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن لي أسماء : أنا محمد ، وأنا أحمد ، وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر ، وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي ، وأنا العاقب » (أي الذي ليس بعده نبي) .

---

(١) آية : ٦ .

ـ وقال سبحانه في سورة البقرة : ﴿ **الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وإن فريقاً منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون** ﴾ .(١) .

الضمير في « يعرفونه » يعود إلى النبي ﷺ .

ـ وقال عز من قائل في سورة الأعراف : ﴿ **ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل..**﴾(٢) .

ب ـ والتبشير به وذكر أوصافه جاء مكتوباً في التوراة والإنجيل :

لو عدنا إلى كتب التوراة والإنجيل الموجودة بين أيدينا اليوم ـ مع ما نالها من تحريف وتبديل ـ لوجدنا أن التبشير باسم محمد ﷺ على أنه رسول الله المنتظر واضح في كثير منها :

---

(١) آية : ١٤٦ .

(٢) آية : ١٥٦ .

ـ فقد جاء في إنجيل « بُرنابا » ٢٧/٤١ ما يلي :

(ما أسعد الزمن الذي سيأتي فيه إلى العالم . صدقوني أني رأيته ، وقدمت له الاحترام كما رآه كل نبي ، لأن الله يعطيهم من روحه نبوّة ، ولما رأيته امتلأت عزاءً قائلاً : يامحمد ليكن الله معك ، وليجعلني أهلاً أن أحلّ سَيْرَ حذائك ، لأني إن نلتُ هذا صرتُ نبياً عظيماً وقدوس الله . .) .

ـ وجاء في إنجيل « يوحنا » ـ وهو من الأناجيل المعتمدة عند النصارى ـ لفظ « فارقليط » ، وهو معرب من اللفظ اليوناني الأصل « باركلي طوس » ومعناه : (المعزّي ، والمعين ، والوكيل) ، ويشابهه لفظ « بير كلوطوس » ، ومعناه : (محمد ، وأحمد ، ومحمود) .

يرى صاحب كتاب « إظهار الحق » العلامة « رحمة الله الهندي » : (أنه من الواضح أن التفاوت بين اللفظين يسير جداً ، وأن الحروف اليونانية كانت متشابهة ، وأن تصحيف « بيركلوطوس » إلى « باركلي طوس » من الكاتب في بعض النسخ قريب القياس ، ثم رجح أهل التثليث هذه النسخة على النسخ الأخرى . .) .

أهل التثليث [١] في معتقدهم الباطل يريدون أن يكتموا الحق ، ويحرّفوا الكلم عن مواضعه حتى لا تقوم الحجة عليهم في وجوب اتباع النبي ﷺ ، وضرورة الإيمان به .

ومما يؤكد هذا التحريف ما نقله الأخ الدكتور « حسن ضياء الدين عتر » في كتابه « نبوة محمد ﷺ في القرآن » عن العلامة « عبد الوهاب النجار » : أن العلامة « كارلو نلينو » المستشرق الإيطالي كان يحضر دروس اللغة العربية بتوصية من الحكومة الإيطالية في كلية « دار العلوم » بجامعة القاهرة ، وكان آنئذ حاصلاً على شهادة الدكتوراه في آداب اللغة اليونانية ، فجعل يجلس بجانب الشيخ النجار وهو طالب ، حتى انعقدت بينهما أواصر الصحبة المتينة ، فقال له الشيخ النجار : ما معنى « بير كلوطوس » ؟ فأجابني بقوله : « إن القسس يقولون : « إن هذه الكلمة معناها « المعزي » ، فقلت : إني أسأل الدكتور « كارلونلينو » الحاصل على الدكتوراه في آداب اللغة اليونانية القديمة ، ولست أسأل قسيساً !! فقال : إن معناها « الذي له

---

(١) أهل التثليث هم النصارى الذين يقولون : إن الله هو الأب ، والابن (عيسى) ، وروح القدس (جبريل) وقد حكى القرآن الكريم قولهم حين قال : ﴿ لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة . . . ﴾ تعالى الله عن ذلك علوا كبيراً .

حمـد كثير » ، فقلت : هـل ذلــك يـوافـق أفعـل التفضيـل من « حَمِدَ » ؟ فقال : نعم .

فقلت : إن رسول الله ﷺ من أسمائه « أحمد » فقال : يا أخي أنت تحفظ كثيراً . . ثم افترقنا ، فقال الشيخ النجار : ازددت تثبتـا في معنى قـولـه تبـارك وتعـالى حكايـة عن المسيـح عليـه السـلام : ﴿ ومبشّراً برسـول يـأتي من بعـدي اسمــه أحمد ﴾[١] .

وبناء على ما ذكرناه ، فإن لفظ « المعزّي » أو « فارقليط » المذكور في الأناجيل المعتمدة هو التبشير بنبي اسمه « محمد » أو « أحمد » كما سبق تحقيقه وبيانه .

والأناجيل الحاضرة ، وإن كانت فيما بينها متناقضة للتحريف الذي نالها على يد قساوستها ورهبانها . . فإنه لا يمنع من كون هذه الأناجيل تحوي بقايا من الوحي الإلهي لا نحيط بها علماً على وجه التحديد . .

ونحن نعلم أن الله عز وجل أنزل القرآن الكريم مهيمناً على

---

(١) وانظر قصص الأنبياء للعلامة النجار ص ٣٩٨ .

كل الشرائع السابقة . . يؤكد صحيحها وهو الذي لم تنله يد التحريف ولم ينسخ ، ويكشف زائفها وهي التي نالتها يد التحريف . .

فما نفاه القرآن الكريم فهو باطل ، وما أثبته فهو الصحيح . .

ومن الذي أثبته : البشائر ببعثة خاتم المرسلين محمد ﷺ (الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل) .

- ومن الإشارات التي تدل على بعثة النبي ﷺ في التوراة هو ما جاء في سفر « حَجّاي » من التوراة الإصحاح الثاني (لأنه هكذا قال ربّ الجنود: هي مرة بعد قليل ، فأزلزل السموات والأرض والبحر واليابسة وأزلزل كل الأمم ، ويأتي « مشتهى كل الأمم » فأملأ هذا البيت عدلاً) .

وقد جاء في حاشية الأصل العبري « مشتهى كل الأمم » (حمدوت) أي الذي تحمده كل الأمم .

ولاشك أن هذا التفسير يعني « محمداً أو محموداً أو أحمد » ، وكأنه يقول : وأزلزل كل الأمم ، ويأتي محمد ، فأملأ هذا البيت

ـ أي بيت المقدس ـ عدلاً ، قال هذا ربّ الجنود .

فتبين من هذا النص أن التوراة صرحت باسم محمد بلفظ (حمدوت) ، ولكن الترجمة أبعدت لفظ « محمد » ، لتضع مكانه مرادفاً يصرف الذهن عن اسم محمد ، وضعت عبارة « مشتهى » الذي هو « حمدوت » بدلاً من اسم (محمد أو أحمد أو محمود) ، وهذا هو التحريف بعينه .

وصدق الله العظيم القائل : ﴿ **فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية يحرفون الكلم عن مواضعه ونسوا حظاً مما ذكّروا به ولا تزال تطلع على خائنة منهم إلا قليلاً منهم** ﴾ . [١]

جـ ـ والتبشير به وذكر صفاته جاء على ألسنة من أقروا بالحق من أحبارهم ورهبانهم :

١ ـ جاء في كتاب « السيرة المحمدية » : أن أمية بن أبي الصلت الثقفي عندما قال لأبي سفيان : (إني لأجد في الكتب صفة نبيّ يبعث في بلادنا ، فكنتُ أظنه أني

(١) المائدة : ١٣ .

هـو ،وكنت أتحـدث بـذلـك ، ثم ظهر لي أنـه من بني عبـد مناف) .

٢ - وجاء أيضاً في الكتاب نفسه : وهذا الراهب « بكا » في بلاد الشام يصف الرسول المنتظر « لأبان بن سعيد » حتى قال « أبان » : (فوصفه ، فما أخطأ في وصفه شيئاً ثم قال : هو والله نبيّ هذه الأمة ، والله ليظهرنّ . .) .

٣ - وجاء في كتاب « دلائل النبوة » ما يلي : (وهذا صاحب عمورية وراهبها يقول لسلمان الفارسي رضي الله عنه : « قد أظلك زمان نبيّ هو مبعوث بدين إبراهيم الخليل ، يخرج بأرض العرب ، مهاجَرُهُ إلى أرض بين حرّتين بها نخل (يقصد المدينة) ، به علامات لا تخفى ، يأكل الهدية ، ولا يأكل الصدقة ، بين كتفيه خاتم النبوة ، فإن استطعت أن تلحق بتلك البلاد فافعل ») .

٤ - وجاء في « دلائل النبوة » أيضاً ما يلي : (ثم ألم يعرف الراهب « بَحيرَى » رسول الله ﷺ دون عناء عندما رآه - وكان طفلاً - قرب بُصرى الشام ، ونصح عمه أبا طالب بالعودة به خوفاً عليه من اليهود) .

٥ ـ وجاء في كتاب « دلائل النبوة » كذلك : (وهذا زيد بن سُعْنَة اليهودي يقول : لما أراد الله هدايته للإسلام ، لم يبق من علامات النبوة شيء إلا عرفتُها في وجه محمد ﷺ إلا اثنتين لم أخبرهما منه : يسبق حلْمه جهله ، ولا يزيده شدة الجهل إلا حلماً » ، وقد خبرهما فوجده عليه الصلاة والسلام كذلك) .

٦ ـ وجاء في الكتاب نفسه : (وهذا ابن الهيّبان من يهود الشام ، خرج من الشام إلى الحجاز ، وحلّ في بني قريظة ، ثم توفي قبل البعثة بسنتين ، ولما شعر أنه ميت لا محالة قال : إنما قدمت هذه الأرض أنتظر خروج نبي قد أظل زمانه ، وهذه أرض مهاجره ، وكنت أرجو أن يبعث فأتبعه) .

ومن الشواهد القوية على صدق نبوته ودلائل رسالته عليه الصلاة والسلام :

إسلام النجاشي ملك الحبشة ، وإسلام الحبر اليهودي عبد الله بن سلام .

وقصة إسلامهما مشهورة في التاريخ ، ومثبتة في الصحاح ، ومعروفة لدى كل مسلم ، ولدى كل عاقل ومنصف . . وكذلك

إسلام غيرهما مما تناقلته كتب التاريخ ، ودونته أسفار السيرة . .

تلكم معالم التبشير بالنبي ﷺ ، جاءت صريحة واضحة في آيات القرآن الكريم .

وجاءت صريحة واضحة في كتب التوراة والإنجيل الحالية مع ما اعتراها من التأويل والتبديل .

وجاءت صريحة على ألسنة المقرّين المنصفين من الأحبار والرهبان والمتعقّلين . .

وهذا مما يدل دلالة واضحة صادقة على أن محمداً رسول الله ، أرسله الله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره الجاحدون المنكرون !! .

● هذا عدا عن شهادة الجاهلية قبل النبوة وبعدها بأنه عليه الصلاة والسلام الصادق الأمين .

● وعدا عن معجزة القرآن الكريم الربانية التي حيرت الألباب بوجوه إعجازه ، وبهرت الأبصار بحلاوة بيانه ، وانقطعت أنفاس البشر دون الإتيان بسورة من مثله على الرغم من وجود التحدي المثير القارع على مدى الزمان والأيام :

﴿ وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين * فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أعدّت للكافرين ﴾[١].

والعجز من البشر عن الإتيان بمثله قائم إلى يوم القيامة . . وهذا معناه أن القرآن الكريم من عند الله ، وأن محمداً ﷺ رسول الله .

والحياة كل يوم تكشف لنا عن وجه جديد من وجوه إعجاز[٢] القرآن الكريم الأدبي ، والتشريعي ، والعلمي . . . والمؤمنون يزدادون يقيناً يوماً بعد يوم أن هذا القرآن الكريم هو من عند الله ، وأن النبي عليه الصلاة والسلام هو المبعوث رحمة للعالمين .

---

(١) البقرة : ٢٣ ، ٢٤ .

(٢) أنصح الشباب أن يرجعوا إلى ماكتبه الشهيد « سيد قطب » في « الظلال » ، وفي « التصوير الفني في القرآن » و « مشاهد القيامة » ، وإلى ما كتبه الأستاذ مناع القطان في كتابه « مباحث في علوم القرآن » ، وإلى ما كتبه الدكتور « حسن ضياء الدين عتر » في كتابه « نبوة محمد ﷺ في القرآن الكريم » ، وإلى ما كتبه غيرهم ، فإن فيها ما يكشف الحقائق الإعجازية ، والمسائل العلمية في القرآن الكريم .

وصدق الله العظيم القائل : ﴿ **سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أو لم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد** ﴾ (١) .

فبحقيقة « خاتمية الرسالة » .

وحقيقة « عالمية الدعوة » .

وحقيقة « دلائل النبوة » .

تدركون من هو محمد رسول الله ﷺ ؟

وتعرفون ما هي خصائص رسالته ، ومزايا دعوته ؟

وتعلمون ما هي المهمة التي كلف الله بها أمة الإسلام في كل زمان ومكان ؟

ثم بالتالي تعلمون ما هو الموقف الذي ينبغي أن يقفه المسلمون مع غير المسلمين ؟ .

وهل الإسلام يكره أحداً على الدخول فيه ؟

كل ذلك سنجيب عليه بالتفصيل في هذا البحث الذي نحن

---

(١) سورة فصلت : آية ٥٣ .

بصدده .

● أما من هو محمد رسول الله ؟

فهو لاشك الرسول الذي أرسله الله سبحانه للعالمين بشيراً ونذيراً ، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً ، وأن الله سبحانه وتعالى ختم به الرسل فلا نبي بعده ، وختم بشريعته الشرائع السماوية فلا شريعة بعدها ؛ بل شريعة ناسخة ومهيمنة على كل ما سبقها من شرائع وكتب سماوية .

ولقد تطرقنا قبل قليل للأدلّة القاطعة الناصعة التي تدل على صدق نبوته ، وعالمية دعوته ، وخاتمية رسالته . . ﷺ .

● أما عن خصائص رسالته ومزايا دعوته ﷺ :

فقد سبق أن أشرنا في مستهل البحث أن رسالة الإسلام جمعت في طياتها دعوة الأنبياء والرسل . . وزادت عليها بالتشريع الكامل الذي يمتاز بالربانية والعالمية ، ويتصف بالخلود والتجدد ، ويحمل في طبيعته خصائص شموله ونموه ، وامتداده وخلوده . . إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

وصدق الله العظيم القائل في محكم تنزيله : ﴿ **يا أهل**

الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيراً مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفوا عن كثير قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين * يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم ﴾ [١] .

وقال عز من قائل : ﴿ ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين ﴾[١] .

● أما المهمة التي كلّف الله بها أمة الإسلام في كل زمان ومكان :

فهي مهمة التبليغ والدعوة والجهاد . . حتى تصل رسالة الإسلام إلى كل بلد ، وتدخل كل قطر . . عن طريق الإقناع والمحاجة ، والدخول في الإسلام عن طواعية واختيار . . بعد إقامة الحجة ، ونصاعة البرهان !! .

وقبل قليل قرأت ـ أخي القارىء ـ قوله تعالى ﴿ كنتم

---

(١) سورة المائدة : آية ١٥ ، ١٦ .

(٢) سورة النحل : آية ٨٩ .

خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ﴾ [١]؛ وقرأت أيضاً قوله جل جلاله : ﴿ **وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً** ﴾ [٢] .

وما هاتان الآيتان ، وآيات غيرها إلا تأكيد لأمة الإسلام في أن يحملوا رسالة الإسلام إلى الدنيا بعزم وقوة ومضاء واستبسال . . لتقوم بدورها في هداية البشرية وإنقاذ العالم ، وتحرير الدنيا من العبادة لغير الله .

● أما ما هو موقف الإسلام من غير المسلمين ؟

فإننا سنعرض بعد قليل لهذا البحث بشيء من التفصيل ، وبمزيد من البيان حتى لا يبقى لإنسان شيء من الغموض والالتباس .

● أما عن قضية الإكراه :

فكل مسلم يقرأ قوله تبارك وتعالى : ﴿ **لا إكراه في الدين**

---

(١) سورة آل عمران : آية ١١٠.

(٢) سورة البقرة : آية ١٤٣.

قد تبين الرشد من الغي ﴾ [١] ويدعم هذه الاية الصريحة في لفظها ومعناها بآيات كثيرة تؤكد أن لا إكراه في الدين :

- منهـا : ﴿ **أفـأنت تكره النـاس حتـى يكـونـوا مـؤمنين** ﴾[٢] .

- منهـا : ﴿ **فـذكر إنما أنت مـذكـر لسـت عليـهم بمسيطر** ﴾[٣] .

- منها : ﴿ **وما على الرسول إلا البلاغ المبين** ﴾ [٤] .

لماذا لم يكره الإسلام أحداً على اعتناقه بقوة السيف ؟

لأن الإكراه يقهر النفس الإنسانية ويذلها .

لأنه يحطم الشخصية الإنسانية ويقتلها .

لأنه يورث في القلوب الأحقاد ، ويزرع في النفوس الضغائن .

لأنه ينزع إلى النفور، ويرسخ في النفوس ردود الفعل

(١) سورة البقرة : آية ٢٥٦ .

(٢) سورة يونس : آية ٩٩ .

(٣) سورة الغاشية : آية ٢١ ، ٢٢ .

(٤) سورة النور : آية ٥٤ .

والانفجار حين تسنح الظروف .

لأنه يسيء إلى سمعة الدعوة الإسلامية في الداخل والخارج .

لأنه يجعل إيمان المرء المكره غير مقبول عند الله عز وجل ، لأنه سبحانه لا يقبل من الأعمال إلا ما كان خالصاً له ؛ والمكره بالإيمان خوفاً ولم يتوجه به إلى الله تعالى خالصاً ، وما كان كذلك من الإيمان فهو غير مقبول .

لهذا كله دعا الإسلام الناس إلى الدخول فيه عن إيمان وقناعة واختيار . . وأعلن على مسامع الدنيا شعاره الثابت « لاإكراه في الدين » .

موقف الإسلام من غير المسلمين

أما عن موقف الإسلام من غير المسلمين فيحسن أن نتطرق أولاً لأصنافهم ، ثم نبين موقف الإسلام من كل صنف .

أرى أنهم يصنفون جميعاً إلى أربعة أصناف :

أولا ـ صنف أهل الكتاب .

ثانياً ـ صنف الملحدين أو المرتدين .

ثالثاً ـ صنف الوثنيين أو المشركين .

رابعاً ـ صنف المنافقين .

وسوف ترى ـ أخي القارىء ـ موقف الإسلام من كل صنف بمزيد من البيان والتفصيل ، وعلى الله قصد السبيل .

☆ ☆ ☆

١ ـ موقف الإسلام من أهل الكتاب :

من هم أهل الكتاب ؟ .

أهل الكتاب هم من يدينون بكتاب سماوي ، ويتبعون نبياً من الأنبياء .

وهم في الوقت الحاضر فئتان :

فئة اليهود : وهم الذين اعتنقوا شريعة موسى عليه السلام الذي تنزلت عليه التوراة .

وفئة النصارى : وهم الذين اعتنقوا شريعة عيسى عليه السلام الذي تنزل عليه الإنجيل .

ومن بقي على ملة نبيه منهم ولم يدرك زمن بعثة النبي ﷺ أو أدرك زمنه ولم تبلغه دعوته فهو مؤمن .

ـ ومن بقي على ملته بعد أن علم ببعثته ودعوته عليه الصلاة والسلام يدخل في زمرة الكافرين .

وهنا يرد تساؤل :

لماذا كان أهل الكتابين كفاراً بعد علمهم بدعوة

النبيﷺ ؟ أليسوا أتباع نبي من الأنبياء ؟ أليسوا ممن يدينون بدين سماوي ؟

إنه تساؤل وجيه ، ولكن بعد تفهم الحقيقة يزول من نفس السائل كل إشكال والتباس .

- سبق أن ذكرنا أن رسالة الإسلام هي خاتمة الرسالات ، وهي المهيمنة على جميع الشرائع السابقة وناسخة لها ، وهي التي تمتاز بالربانية والعالمية ، وتتصف بالخلود والتجدد ، وتحمل في طبيعتها خصائص شمولهاوغوها . . إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

- وسبق أن ذكرنا أيضاً أن رسالة الإسلام نزلت لجميع الشعوب ، وكافة الأمم دون أن يكون هناك تمييز بين جنس وجنس ، ولون ولون ، ولغة ولغة . . .

- وسبق أن ذكرنا كذلك أن هذا النبي العظيم ﷺ قد جاء التبشير به على ألسنة الأحبار والرهبان ، وجاء ذكره وضرورة الإيمان به في التوراة والإنجيل .

- وسبق أن بّينا أن الكتب السماوية السابقة والحاضرة

المتداولة بين الطوائف من اليهود والنصارى مختلفة متناقضة متعددة . . لما أصابها من تحريف وتبديل .

وأزيدك ـ أخي القارىء ـ شيئاً آخر غير الذي ذكرناه سابقاً :

وهو أن الأديان السماوية السابقة ـ مع ما فيها من بقايا الوحي الإلهي ـ أصبحت لاتفي بحاجات الزمن ، ولا تواكب في هديها وتشريعها روح الحياة المتجددة ، ولا تلتئم مع دولاب الحضارة المتطورة . . لماذا ؟

لأن الله سبحانه وتعالى يعلم أن هذه الشرائع السابقة ستختم بشريعة لا يمكن أن يعتريها تبديل أو تغيير ﴿ **إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون** ﴾(١) ؛ ولا يمكن أن يطرأ عليها قصور أو نقصان ﴿ **ما فرطنا في الكتاب من شىء** ﴾(٢) ؛ ولا يمكن أن يماثلها قانون أو نظام ﴿ **ومن أحسن من الله**

---

(١) سورة الحجر : ٩ .

(٢) سورة الأنعام : ٣٨ .

حكما لقوم يوقنون ﴾ [١] .

ولهذا كله وجب على كل كتابي سواء أكان يهوديا أو نصرانياً وصلته دعوة الإسلام ؛ أن يؤمن بهذا النبي الأمي المبشَّر به في التوراة والإنجيل . . وأن يصدق بكل ما نزل عليه من قرآن ، وما أتي به من تشريع . . وإلا فيكون كاتماً لما جاء في التوراة أو الإنجيل ؛ ومن كان كاتما للحق ، معرضاً عن الهدى كان كافراً حقاً ، هذه حقيقة .

وثمة حقيقة أخرى يجب أن يعلمها كل إنسان وهي أن الذي يؤمن ببعض الكتب السماوية ويكفر ببعضها ؛ أو الذي يؤمن ببعض الرسل ويكفر ببعض . . فهو كافر حقاً !! ، لأن من مقتضى الإيمان وأركانه ؛ الإيمان بالكتب السماوية جميعاً ، والإيمان بالرسل جميعاً .

قال تعالى في سورة البقرة : ﴿ **أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا**

---

(١) سورة المائدة : ٥٠ ـ ارجع إلى ما كتبناه عن « خصائص الشريعة » في كتابنا « حتى يعلم الشباب » وفي « قصة الهداية » فإن فيهما ما يشفي غليل القارىء إن شاء الله .

خزي في الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب ﴾[١] .

وقال سبحانه في سورة النساء : ﴿ **إن الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلاً * أولئك هم الكافرون حقاً وأعتدنا للكافرين عذاباً مهيناً ﴾**[٢] .

علماً أن المسلم ـ في نظر الإسلام ـ إذا كذب رسولاً من الرسل ، أو إذا جحد كتاباً سماوياً من الكتب ، أو لم يقر على العموم بأصل شريعة ربانية تنزلت على نبي من الأنبياء . . كان زائغ العقيدة خارجاً عن الملة ، مرتداً عن الإسلام .

قال تعالى في سورة النساء ﴿ **يأيها الذين آمَنوا آمِنوا بالله ورسوله والكتاب الذي نزل على رسوله والكتاب الذي أنزل من قبل ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه**

---

(١) آية : ٨٥ .

(٢) آية : ١٥٠ ، ١٥١ .

ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالاً بعيداً ﴾[١] .

ومن هنا تعلم ـ أخي القارىء ـ أن الشريعة الإسلامية حين أباحت زواج المسلم بالكتابية أباحت ذلك لكون المسلم يؤمن بالرسل جميعاً ، وبالكتب جميعاً ، وبالتالي لم تبح الشريعة زواج الكتابي بالمسلمة لكون الكتابي لم يؤمن بالقرآن الكريم على أنه كتاب سماوي ، ولم يعتقد بمحمد على أنه رسول الله ، ولم يقر بالإسلام على أنه دين الله الذي نزله على خاتم رسله لينظم الحياتين الدنيا والآخرة .

ولو أنه آمن ، واعتقد ، وأقر ، والتزم . . لأصبح مسلماً حقاً .

والذي أخلص إليه بعد ما تقدم :

أن الكتابي إذا لم يقر بشريعة الإسلام ، ولم يؤمن بنبوة محمد عليه الصلاة والسلام . . كان كافراً حقاً . . والحجة قائمة عليه في كل زمان ومكان على أن محمداً حق وقرآنه الذي نزل عليه حق ، ورسالته التي أتى بها إلى الدنيا عالمية شاملة . . بشهادة المقرين

---

(١) آية : ١٣٦ .

من الأحبار والرهبان ، وبشهادة التبشيرات التي أشارت إليها كتب التوراة والإنجيل الحالية . . وبشهادة الآلاف الذين اعتنقوا الإسلام من اليهود والنصارى . . عبر التاريخ

وصدق الله العظيم القائل : ﴿ **ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين** ﴾ (١) .

☆ ☆ ☆

وهنا يعترض سؤال آخر :

إذا كان الإسلام لم يكْره أحداً على الدخول فيه . . فلماذا شرع الحرب ؟ وما الهدف من القتال ؟

سؤال وجيه أيضاً ، وسنجيب عليه بالتفصيل :

إن للجهاد في الإسلام أهدافاً محددة تنبع من حقيقة الواقع ، وعالمية الدعوة ، ونظام الحرب . ونلخصها في النقاط التالية :

١ ـ رد الظلم والعدوان عن أرض الإسلام :

---

(١) سورة آل عمران : آية ٨٥ .

لقوله تبارك وتعالى : ﴿ **وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين** ﴾ (١).

وقال جلّ جلاله : ﴿ **أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير * الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدّمت صوامع وبِيَع وصلواتٌ ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيراً ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز ..** ﴾(٢) .

٢ ـ المحافظة على العهود والمواثيق :

إذا كان بين دولة الإسلام وإحدى الدول الأجنبية عهود أو مواثيق ، وأخلّت هذه الدولة بتلك العهود أو المواثيق كان ذلك مسوّغاً لقتالها ، لقوله تبارك وتعالى : ﴿ **وإن نكثوا أيْمانَهُم من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم فقاتلوا أئمة الكفر إنهم لا أيمان لهم لعلهم ينتهون** ﴾ (٣) .

---

(١) سورة البقرة : الآية ١٩٠ .

(٢) سورة الحج : الآية ٣٩ ـ ٤٠ .

(٣) سورة التوبة : الآية ١٢ .

٣ ـ إزالة العقبات التي تعترض طريق الدعوة الإسلامية :

سبق أن ذكرنا أن دعوة الإسلام عالمية ، وأن بعثة الرسول عليه الصلاة والسلام هي للناس كافّة . .

ومعنى هذا أنه يجب أن تصل رسالة الإسلام إلى كل أمة ، وأن تدخل كل بلد ، فكل من في طريق الدعوة الإسلامية ، ويصدّ عن تبليغها من طواغيت متجبرين ، أو حكام متألّهين . . يجب أن يُزاحوا عن الطريق حتى تصل الدعوة إلى الشعوب نقية صافية واضحة ، والشعوب هي التي تقرر مصيرها : إن شاءت أن تدخل في الإسلام عن طواعية واختيار ، وإن شاءت أن تبقى على دينها ، وتدفع الجزية إلى الدولة الإسلامية مقابل حمايتها من العدوان .

وإليك ـ أخي القارىء ـ هذه المحاورة التي جرت بين عبادة بن الصامت رضي الله عنه رئيس وفد المسلمين ، وبين المقوقس حاكم مصر ، لتعلم جلياً أن الإسلام لم يُكْرِه أحداً على اعتناقه بالقوة ، وأنه شرع الحرب لإزالة الطواغيت الذين يعترضون طريق الدعوة ، وأنه ترك للشعوب تقرير مصيرها . . !! .

أصحابك ، ولعمري . . ما ظهرتم على مَنْ ظهرتُم إلا لحبهم الدنيا ، ورغبتهم فيها ، ولقد توجّه لقتالكم من جمع الروم مالا يحصى عدده ، قوم معرفون بالنجدة والشدة ، مَنْ لا يبالي أحدهم مَنْ لقي ولا من قاتل . .

وإنا لنعلم أنكم لن تقووا عليهم ولن تطيقوهم لضعفكم وقلتكم وقلة ما بأيديكم ، ونحن تطيب أنفسنا أن نصالحكم على أن نفرض لكل رجل منكم دينارين ، ولأميركم مائة دينار ولخليفتكم ألف دينار . . . فتقبضونها وتنصرفون إلى بلادكم قبل أن يغشاكم مالا قوة لكم به .

فقال عبادة :

ياهذا ، لا تغرنّ نفسك ولا أصحابك . . أما ما تخوفنا به من جمع الروم وعددهم وكثرتهم وأنا لا نقوى عليهم فلعمري ما هذا بالذي تخوفنا ، ولا بالذي يردّنا عما نحن فيه إذا كان ما قلتم حقاً !! . .

وإنا منكم على إحدى الحسنيين :

- إما أن تعظم لنا غنيمة الدنيا إن ظفرنا بكم .

ـ وإما غنيمة الآخرة إن ظفرتم بنا . .

وإن الله عز وجل قال في كتابه : ﴿ **كم من فئة قليلة غلبت فئةً كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين** ﴾ (١) .

وما منا رجل إلا وهو يدعو ربه صباحاً ومساء أن يرزقه الله الشهادة ، وألا يرده إلى بلده ولا إلى أرضه ، ولا إلى أهله وولده . . وقد استودع كل واحد منا ربه أهله وولده . . وإنما همنا في سبيل الله وإعلاء كلمته . .

وأما قولك إنا في ضيق وشدة من معاشنا وحالنا ، فنحن في أوسع السعة ، لو كانت الدنيا كلها لنا ، ما أردنا منها لأنفسنا أكثر مما نحن فيه . .

ثم استطرد « عبادة » قائلاً : ولا يمكن أن نجيبك إلا بواحدة من ثلاث ، فاختر أيتها شئت ، ولا تطع نفسك في الباطل بذلك أمرني الأمير ، وبها أمره أمير المؤمنين ، وهو عهد رسول الله ﷺ إلينا ، والثلاث هي :

ـ إما أن تجيبونا إلى الإسلام الذي هو الدين الذي لا يقبل

---

(١) سورة البقرة : ٢٤٩ .

الله غيره ، وهو دين أنبيائه ورسله . . . فمن دخل فيه فله ما لنا وعليه ما علينا ، وكان أخانا في دين الإسلام . . فإن قبلت أنت وأصحابك سعدتم في الدنيا والآخرة ، ورجعنا عن قتالكم ، ولم تستحلّ أذاكم ، ولا التعرض لكم . .

وإن أبيتم فأدوا إلينا الجزية عن يد وأنتم صاغرون ، نعاملكم على شيء نرضاه نحن وأنتم في كل عام أبداً ما بقينا وبقيتم ، ونقاتل عنكم من ناوأكم ، وعرض لكم في شيء من أرضكم ودياركم وأموالكم ، وندافع عنكم إذا كنتم في ذمتنا وكان لكم به عهد إلينا .

وإن أبيتم فليس بيننا إلا المحاكمة بالسيف ، حتى نموت عن آخرنا أو نصيب ما نريد منكم ، هذا ديننا الذي ندين الله تعالى به ، ولا يجوز لنا غيره ، فانظروا لأنفسكم . .) ا هـ .

من هذا الموقف يتبين :

أن الإسلام لم يجبر أحداً على الدخول فيه ، وأنه لم ينتشر بحدّ السيف كما يزعم أعداء الإسلام ، وإنما شرعت الحرب في الإسلام ـ كما تبين من موقف عبادة ـ من أجل إزاحة الطواغيت الذين يعترضون طريق الدعوة الإسلامية إلى الأمم والشعوب . .

وبعد إزاحة الطواغيت ، فالشعوب هي التي تقرر مصيرها إما الإسلام ، وإما أن تبقى على دينها .

ومما يؤكد أن الهدف من القتال إزاحة الطواغيت ، وإزالة العقبات . . موقف « ربعي بن عامر » رضي الله عنه من رستم قائد جيش الفرس حين تحدّاه وقال : (إنما ابتعثنا الله من أجل أن نخرج الناس من عبادة العباد إلى عبادة الله ، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها ، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام) .

ولو كان الإسلام يفرض وجوده واعتناقه بقوة السيف والإكراه ، لما قبل رسول الله ﷺ الجزية من صاحب « أيلة » ومن أهل « جرباء » ومن أهل « أذرح » ، بعد أن انسحب أمامه جحافل الروم يوم خرج لقتالهم في تبوك . . فإن طبيعة النصر تدفع المرء إلى الظفر بأكبر قسط منه ، ولكن رسول الله ﷺ أبى أن يحارب أهل أيلة ، وجرباء و أذرح . . لما وجد من جنوحهم للسلم امتثالا لقوله تبارك وتعالى : ﴿ **وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله** ﴾[1] .

والجزية التي دفعوها ليست لقاء إصرارهم على دينهم ، وإنما

(١) سورة الأنفال : الآية ٦١ .

والجزية التي دفعوها ليست لقاء إصرارهم على دينهم ، وإنما هي عوض عما يبذله المسلمون من جهد ومشقة في سبيل حمايتهم .

وهذا التخيير الذي فرضه الإسلام على المحاربين بين قبول الإسلام أو الجزية دليل واضح على منع الإكراه في الدين تحقيقاً لقوله تبارك وتعالى : ﴿ **لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغيّ** ﴾ (١) .

ومما يؤكد حرية أهل الكتاب الدينية أن السلطان « سليم » العثماني رأى أن « الأروام » و « البلغار » و « الأرمن » قد كثروا في مملكته كثرة مزعجة ، وأقضّوا مضاجع الدولة الإسلامية بفتنهم ومؤمراتهم . . فقرّر أن يجبرهم على الإسلام أو يخرجهم من مملكته ، فعارض شيخ الإسلام « زنبيلي علي أفندي » معارضة شديدة ، وقال للسلطان بلهجة قوية قاطعة : « ليس لك على اليهود والنصارى إلا الجزية ، وليس لك أن تزعجهم عن أوطانهم » فرجع السلطان عن عزمه امتثالاً لإرادة الشرع !! . .

---

(١) سورة البقرة : الآية ٢٥٦ .

وهؤلاء الذين يدفعون للدولة الإسلامية الجزية يعتبرهم الإسلام أهل ذمة وعهد ، بل لهم من الامتيازات والحقوق ما للمسلمين أنفسهم .

وإليكم أهم هذه الحقوق التي فرضها الإسلام لأهل الذمة تحت ظل دولته وسلطانه :

١ ـ يجب الكفّ عن قتالهم إذا جنحوا للسلم ودفعوا الجزية لقوله تعالى : ﴿ **.. حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون** ﴾ [١] .

ولحديث : « فادعهم إلى أداء الجزية ، فإن أجابوك فاقبل منهم وكفّ عنهم » .

٢ ـ يجب المحافظة على أموالهم ، ودمائهم ، وأعراضهم.. جاء في نصب الراية عن عليّ كرم الله وجهه : « وإنما بذلوا الجزية لتكون أموالهم كأموالنا ، ودماؤهم كدمائنا » .

وجاء في شرح البخاري للعيني : عن عبد الله بن عمرو رضي

---

(١) سورة التوبة : الآية ٢٩.

الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال : « مَنْ قتل معاهداً (أي ذمياً) بغير حق لم يُرَحْ رائحة الجنة ، وإن ريحها ليوجد من مسيرة أربعين عاماً » .

٣ - يجب أن يتركوا أحراراً في معابدهم وأحوالهم الشخصية . . جاء في معاهدة عمر رضي الله عنه لأهل فلسطين ما يلي : « هذا ما أعطى عمر أمير المؤمنين أهل إيلياء من الأمان ، أعطاهم أماناً لأنفسهم وأموالهم وكنائسهم وصلبانهم . . لا يُكرهون على دينهم ، ولا يضار أحد منهم » .

٤ - يجب أن يعطوا من الحقوق العامة ما يعطى للمسلمين سواء بسواء .

وكنموذج لمعرفة حقوق الذميين الناتجة من عَقْد الذمة نذكر جانباً مما جاء في كتاب النبي ﷺ لأهل نجران كما جاء في كتابي « فتوح البلدان » و « الخراج » :

(ولنجران ولحاشيتها جوار الله وذمة محمد ﷺ على أموالهم ، وأنفسهم ، وأرضهم ، وملتهم ، وغائبهم ، وشاهدهم ، وعشيرتهم ،

وبِيَعِهم ، وكل ما تحت أيديهم من قليل أو كثير . . لا نغير أسقف من أساقفتهم ، ولا راهب من رهبانهم . . . ولا يحشرون ولا يعشرون ، ولا يطأ أرضهم جيش ، ومن سأل منهم حقاً فبينهم النّصَفُ (العدل) غير ظالمين ولا مظلومين . .) .

٥ ـ يجب حمايتهم من كل اعتداء ، ورفع الظلم عنهم ، والدفاع عن أنفسهم وأموالهم .

وفي رواية البخاري (كان فيما تظلّم به عمر بن الخطاب رضي الله عنه عند وفاته : « أوصي الخليفة من بعدي بذمّة رسول الله ﷺ أن يوفّي لهم بعهدهم ، وأن يقاتل مَنْ وراءهم ، ولا يكلفهم فوق طاقتهم ») .

روى أبو داود عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال : « من ظلم معاهداً أو انتقصه أو كلفه فوق طاقته أو أخذ منه شيئاً من غير طيب نفسه فأنا حجيجه يوم القيامة » .

هذا عدا عن السماحة معهم في أخذ الجزية :

فمن المعلوم في الشريعة الإسلامية أنه يؤخذ من الفقير القادر

القادر على الكسب ما يعادل (١٢) درهماً[١] ومن متوسط الحال (٢٤) درهماً ، ومن الغني (٤٨) درهماً في العام. وتسقط الجزية بالعمى، والزّمانة المرضية، والعجز الدائم، والشيخوخة، ولا تضرب الجزية على نساء أهل الكتاب، ولا على صبيانهم حتى يبلغوا، ولا على عبيدهم ومجانينهم، وأصحاب الصوامع من الرهبان .

ومما تجدر الإشارة إليه أن مقدار الجزية التي تؤخذ من أهل الكتاب ضئيلة جدا بالنسبة لما يلزم به المسلم من زكاة مفروضة ، وصدقات مندوبة ، ومشاركة في مسائل الحرب والجهاد . .

ومما يحسن التنبيه إليه أن الجزية تسقط عن الذمي إذا أسلم ، لما روى الإمام أحمد وأبو داود « ليس على مَن أسلم جزية » ، وهذا مجمع عليه لدى الفقهاء .

ومما يرويه التاريخ بملء الافتخار والإعجاب أن عاملاً (والياً) من عمال عمر بن عبد العزيز كتب إلى عمر : أن

---

(١) الدرهم : يساوي ثلاثة غرامات من الفضة تقريباً ، فيؤخذ منهم ما يعادل قيمة الغرام على سعر السوق الحاضر ، وبالعملة الحاضرة ، سعر الغرام يساوي بالعملة السورية / ١٧٥ /ق . س .

الدخول في الإسلام أضرّ بالجزية ، فافرضها على مَنْ أسلم ، فأرسل إليه عمر بن عبد العزيز يقول له : قبّح الله رأيك ، إن الله سبحانه لم يرسل محمداً ﷺ جابياً ، وإنما أرسله هادياً ، فإذا أتاك كتابي هذا فارفع الجزية عمن أسلم من أهل الذمة .

تلكم أهم الحقوق التي أعطاها الإسلام لمن يعيش تحت ظلال الدولة الإسلامية من أهل الكتابين : اليهود والنصارى ، وهي حقوق عظيمة ضخمة لا يمكن أن يجدوها في أي دين سماوي ، أو نظام أرضي ، أو قانون دولي . .

وإليكم شهادة المنصفين وشهادة التاريخ في إنصافهم وحسن معاملتهم ، وحرية عقيدتهم :

يقول الأستاذ « أرنولد » في كتابه « الدعوة إلى الإسلام » صفحة : (٦٦ و ٦٧ و ٨٨) ما نصه :

(ولما بلغ الجيش الإسلامي وادي الأردن ، وعسكر أبو عبيدة في (فحل) كتب الأهالي المسيحيون في هذه البلاد إلى العرب المسلمين يقولون : « يا معشر المسلمين : أنتم أحبّ إلينا من الروم ، وإن كان الروم على ديننا ، أنتم أوفى لنا ، وأرأف بنا ،

وأكف عن ظلمنا ، وأحسن ولاية علينا ، ولكنهم غلبونا على أمرنا ومنازلنا » .

« وغلق أهل مدينة حمص أبواب مدينتهم دون جيش هرقل ، وأبلغوا المسلمين أن ولايتهم وعدلهم أحبّ إليهم من ظلم الإغريق وتعسفهم . . » .

« ظهر أن الفكرة التي شاعت بأن السيف كان العامل في تحويل الناس إلى الإسلام بعيدة عن التصديق ، فإن الدعوة والإقناع كانا هما الطابعين الرئيسيين لحركة الدعوة هذه ، وليس القوة والعنف ») اهـ .

- ويقول « غوستاف لوبون » قولته المشهورة : « ما عرف التاريخ فاتحاً أعدل ولا أرحم من العرب » .

- ومما يذكره التاريخ : أن التتار لما غزوا بلاد الإسلام ، ووقع كثير من المسلمين والنصارى في أسرهم ، ثم عادت الغلبة للمسلين ، ودان ملوكهم بالإسلام ، خاطب شيخ الإسلام أمير التتار بإطلاق الأسرى ، فسمح له الأمير التتاري بفك أسرى المسلمين ، وأبى أن يسمح بأهل الذمة ، فقال شيخ الإسلام : لا

بد من فكّ الأسرى من اليهود والنصارى لأنهم أهل ذمتنا ، فأطلقهم له !! . .

ـ وسبق أن ذكرنا قبل قليل الموقف الشجاع الذي وقفه شيخ الإسلام « زنبيلي علي أفندي » من السلطان « سليم الأول » حينما حاول أن يجبر البلغار والأرمن على الإسلام .

ـ ومما كتبه عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى « عمرو بن العاص » عامله على مصر : « إن معك أهل ذمة وعهد ، وقد أوصى رسول الله ﷺ بهم ، وأوصى بالقبط فقال : « استوصوا بالقبط خيراً فإن لهم ذمّةً ورَحِماً » .

ـ وذكر « أبو يوسف » في كتابه « الخراج » أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه مرّ بشيخ من أهل الذمة يسأل على أبواب المساجد بسبب الجزية ، والحاجة ، والسن ، فقال : « ما أنصفناك ، إن كنا أخذنا منك الجزية في شبيبتك ، ثم ضيعناك في كبرك ، ثم أجرى عليه من بيت المال ما يصلحه ، ووضع الجزية عنه وعن ضربائه .

ـ ومما ذكره التاريخ بملء الافتخار والاعتزاز أن عمر بن

الخطاب رضي الله عنه اقتص من ابن واليه « عمرو بن العاص » لضربه مصرياً قبطياً بدون حق ثم التفت إلى عمرو وقال له قولته الخالدة : « ياعمرو متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً » .

والأمثال والشواهد على هذا كثيرة أعظم من أن تحصى . . .

وهذا مما يؤكد أن الإسلام حين يحكم يجد أهل الكتاب في ظلال الحكم الإسلامي كل عطف وإكرام ورعاية ، وكل عدل وإنصاف ورحمة . .

وهذا ردّ قاطع على مَنْ يقول : ما نصنع باليهود والنصارى إذا قام في المجتمع الإسلامي حكم الإسلام ؟

نقول : نصنع بهم ما أمر به الإسلام ، ونعاملهم بما عاملهم به جدودنا البواسل الأمجاد ، حتى يقول المنصفون من أهل الملل الأخرى : « ما عرف التاريخ فاتحاً أرحم من العرب » !! .

☆ ☆ ☆

مقارنة وموازنة :

وفي هذه المناسبة لابد أن نوازن بين ما كانوا يرونه من عدلنا ورحمتنا ، وبين ما رأيناه من ظلمهم وحقدهم . . عبر التاريخ ، لتعرف ـ أخي القارىء ـ الحقيقة في أجلى معانيها ، ثم لتقارن بعدها بين عدل الإسلام وجور الأنذال .

ـ مما أجمع عليه المؤرخون أن الصليبيين ذبّحوا في يوم واحد في الحرب الصليبية الأولى سبعين ألف مسلم تذبيح النعاج حتى أن الدماء كانت تجري أنهاراً في المسجد الأقصى وشوارع القدس ، فلم يرقبوا في مؤمن إلاًّ ولا ذمة ، ولم يرحموا كبيراً ولا صغيراً ، ولم يحترموا امرأة ولا طفلاً ، ولم يوقّروا عالماً ولا شيخاً . . على حين عامل « السلطان صلاح الدين » الصليبيين أحسن معاملة ، وأسمى إكرام حين حرّر بيت المقدس من اعتدائهم الأثيم ، فما أراق دماً ، ولا انتهك حرمة ، ولا نقض عهداً . . بل ظلت الكنائس والمعابد أمانة في يديه وفي يد مَنْ جاء من بعده يحسنون القيام بها ، والحفاظ عليها . . إلى أن دخل جيوش الحلفاء بيت المقدس في الحرب العالمية الأولى وقال القائد

الأنكليزي « ألِنْبي » قولته المشهورة : « الآن انتهت الحروب الصليبية » .

- وذكر الدكتور العمري في كتابه « العلاقات السياسية الدولية » : (. .في الأندلس لقي المسلمون أشد العذاب ، وأبشع الظلم من محاكم التفتيش التي كانت تأمر بتنصير المسلمين كرهاً ثم بحرق الكثير منهم ، ونصح « كردينال »طليطلة الذي كان رئيساً لمحاكم التفتيش بقطع رؤوس جميع من لم يتنصَّر من العرب رجالاً ونساءً ، وشيوخاً وولداناً ، وأراد « شارلومان » أن يستأصل شأفة الإسلام تأييداً لهيبة الكنيسة ، وأن يسحق دولة الأندلس المستقلة احتفاظاً بكبرياء الفتح والظفر .

وعقد مسلمو غرناطة معاهدة التسليم والأمان من الملكين الكاثوليكيين : « فردينالد » و « إيزابيلا » اللذين نكثا بالعهود والمواثيق ، فكبّلا ثلاثة ملايين من المسلمين بالأغلال وأعمل الكاثوليك في رقابهم السيف تنكيلاً وانتقاماً . .) .

- ومما ذكره الدكتور « حامد سلطان » في كتابه « القانون الدولي العام » : (وفي سنة/١٤٥٤م ، أصدر « البابا » مرسوماً منح فيه « هنري » البحار البرتغالي الحق في أن يغزو ، وأن

يحتل ، ويحوز البحار اللازمة للقضاء على انتشار الإسلام ، وكان مما جاء في هذا المرسوم البابوي ما يلي : « إن سرورنا العظيم أن نعلم أن ابننا المحبوب « هنري » أمير البرتغال قد سار في خُطى أبيه الملك « جون » بوصفه جندياً قديراً من جنود المسيح ، ليقضي على أعداء الله ، وأعداء المسيح من المسلمين والكفرة . . . ») اهـ .

ـ وجاء في النشيد الإيطالي المشهور ما يلي : (أماه صلّي ولا تبكي ، بل اضحكي وتأملي ، ألا تعلمين أن إيطاليا تدعوني وأنا ذاهب إلى طرابلس فرحاً مسروراً لأبذل دمي في سبيل سحق الأمة الملعونة ، ولأحارب الديانة الإسلامية ، وسأقاتل بكل قوتي لمحو القرآن . . إن سألك أحد عن عدم حِدَادك عليّ فأجيبيه : إنه مات في محاربة الإسلام) !! . .

وما فعلته الصليبية في فلسطين والأندلس وليبيا . . في الماضي ، وما تفعله في الفيليبين ، والحبشة ، وقبرص ، وأريتريا ، وزنجبار ، وكينيا ، وجنوب إفريقية . . في الحاضر أكبر دليل على العداء اللئيم ، والحقد الدفين الذي تأصل في كيانهم ، وخالط شغاف قلوبهم قديماً وحديثاً !! . .

أما اليهود :

فإنهم أكثر مكراً ، وأعظم حقداً على الإسلام والمسلمين ، وحينما نتكلم عن « النفاق عند اليهود » في البحث القادم ، فسوف تجد ـ أخي القارىء ـ أن مؤامراتهم ونقضهم للعهود مع نبي الإسلام أكثر من أن تحصى ، ومخططاتهم ضد نظام الحكم الإسلامي عبر التريخ أعظم من أن تستقصى . .

هذا عدا عما تعرفه في الحاضر عن بغيهم واعتدائهم على بيت المقدس وفلسطين ، وعن أهدافهم التوسعية في إقامة دولة إسرائيل من الفرات إلى النيل . . وما ذاك إلا لعدائهم الأثيم ، وحقدهم الدفين على الإسلام والمسلمين !! . .

والقرآن الكريم قد أفصح عن طبيعة اليهود والنصارى في حقدهم المستمر ، وكراهيتهم المتجددة على كل من ينتمي إلى أمة الإسلام في كل زمان مكان :

ـ قال تعالى في سورة البقرة : ﴿ **ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردّوكم عن دينكم إن استطاعوا** ﴾[1] .

---

(١) آية : ٢١٧ .

ـ وقال في سورة البقرة أيضاً : ﴿ **ودّ كثير من أهل الكتاب لو يردّونكم من بعد إيمانكم كفاراً حسداً من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق** ﴾[١] .

ـ وقال في سورة البقرة كذلك : ﴿ **ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتّبع ملتهم . .** ﴾[٢] .

فمن هذه الموازنة يتبين لكل ذي عقل وبصيرة المفارقة العظيمة بين عدلنا وظلمهم ، وسماحتنا وحقدهم . .

ورحم الله من قال :

ملكنا فكان العدل منا سجيّة
فلما ملكتم سال بالدم أبطح
وحلّلتمُ قتل الأسارى وطالما
غدونا على الأسرى نمن ونصفح
فحسبكم هذا التفاوت بيننا
وكل إناء بالذي فيه ينضح

---

(١) آية : ١٠٩ .

(٢) آية : ١٢٠ .

وهذا لا يمنع أن يوجد من أهل الكتاب عقلاء منصفون دخلوا في الإسلام عن طواعية واختيار ، ووقفوا من المسلمين موقف المسالمة والموادة ، وأثنوا على شريعة الإسلام بما تستأهله من مدح وثناء . .

وصدق الله العظيم القائل في سورة المائدة ﴿ **لتجدن أشدَّ الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى ذلكم بأن منهم قسيسين ورهباناً وأنهم لا يستكبرون ، وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون : ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين** ﴾[١] .

ذلك أهم ما يجب أن نعرفه ـ أخي القارىء ـ عن حرية أهل الكتاب الدينية في ظل حكم الإسلام ، وسلطان شريعته .

ولقد رأيت أن الإسلام إذا حكم يرعى أهل الكتابين أحسن رعاية ، ويعاملهم أحسن معاملة ، ويرفع من مستواهم النفسي

---

(١) آية : ٨٢ ، ٨٣ .

والاجتماعي . . أفضل مما يتصوره إنسان ، بل يجعلهم يعيشون مع المسلمين في أوفر كرامة ، وأهنأ عيش ،وأفضل استقرار . .

☆ ☆ ☆

٢ ـ موقف الإسلام من الوثنيين :

من هم الوثنيون ؟ .

الوثنيون هم من جعلوا مع الله إلها آخر ، أو اتخذوا أي معبود يعبدونه من دون الله . . ويدخل تحت هذا المفهوم مشركو العرب ، وعبدة النار والكواكب والمجوس ، وغيرهم من عبدة الأوثان . .

ولكي نحيط بالبحث من جميع جوانبه يحسن أن نصنف أهل الشرك والوثنية إلى صنفين :

الصنف الأول : مشركو العرب .

الصنف الثاني : الوثنيون من غير العرب كالمجوس من عبدة النار والكواكب . .

☆ ☆ ☆

أما مشركو العرب :

فلا تقبل منهم الجزية ، وليس أمامهم سوى شيئين : إما الإسلام وإما القتل .

والذين ذهبوا هذا المذهب هم جمهور الفقهاء : الحنفية ، والزيدية ، وأبو عبيد ، والإمام أحمد ، والمالكية في رواية عنهم . . وقالوا :

« تؤخذ الجزية من كل كافر ما عدا عَبَدَةَ الأوثان من العرب » .

وذهب الأوزاعي ، والثوري ، وبعض المالكية . . إلى أن الجزية تؤخذ من كل كافر سواء أكان من العرب أم من العجم ، من أهل الكتاب أم من عبدة الأوثان .

ولكن الحق في هذه المسألة مع الجمهور في عدم قبول الجزية من مشركي العرب ؛ لكونهم من رهط النبي ﷺ الذي نشأ بين أظهرهم ، والقرآن الكريم نزل بلغتهم ، والحجة في صدق الرسالة قامت عليهم ، فالمعجزة في حقهم أظهر ، والدلائل في إقناعهم

أبلغ . . فمطالبتهم بالإسلام أو الحرب لحكمة بالغة تتجسد في جعل الجزيرة العربية التي نزل عليها الوحي الأمين معقل الإسلام ، وعاصمة المسلمين ، ومهوى أفئدتهم ، وملتقى وحدتهم . . بل جعل هذه البقعة من الأرض مركز إشعاع ونور وهداية إلى العالم أجمع !! .

ومما يدل على هذه الحقيقة أمور :

- روى يونس بن يزيد الأيلي قال : سألت ابن شهاب : هل قبل رسول الله ﷺ من أحد من أهل الأوثان من العرب الجزية ؟ قال : مضت السنة أن يقبل ممن كان من أهل الكتاب من اليهود والنصارى من العرب الجزية ، وذلك لأنهم منهم وإليهم ، فدل على أنه لا يقبل من العرب المشركين الجزية .

- قال أبو عبيد : (فعلى هذا تتابعت الآثار عن رسول الله ﷺ ، والخلفاء من بعدهم أن من كان من العرب وليس من أهل الكتاب ، فإنه لا يقبل منه إلا الإسلام أو القتل . . وأما العجم فتقبل منهم الجزية ، وإن لم يكونوا أهل كتاب للسنة التي جاءت عن رسول الله ﷺ في المجوس « سنّوابهم سنة أهل الكتاب ») .

- وروى أحمد والترمذي عن الرسول ﷺ أنه قال لعمه : « ياعم أريد منهم كلمة (أي من عرب مكة) تدين لهم العرب ، وتؤدي إليهم العجم الجزية ، قال : ما هي ؟ قال : شهادة أن لا إله إلا الله » .

فهذا يدل على عدم جواز أخذ الجزية من العرب ، وعلى مشروعية إقرار العجم على الجزية (والعلة في التضييق على العرب على هذا النحو هو ما يقتضيه صلاح المجتمع الإنساني وصيانة الحياة البشرية من اقتلاع جذور الوثنية المنافية لكرامة الإنسان ، والمؤمن يعتقد أن الوثنية هي أسوأ ما يصاب به الإنسان في روحه وعقله ومصيره . . فقتال الوثني رحمة له لينجو مما هو فيه .

وأيضاً : فإنه كان لابد من إيجاد نواة للإسلام ، ومركز رئيسي يشع منه النور على العالم ؛ ثم على المسلمين جميعاً أن يشتركوا في تحمل مسؤلية نشر الدعوة والدفاع عنها ، ومن هنا ظهر الصراع عنيفاً بين المسلمين ومشركي العرب في الجزيرة العربية في بادىء الأمر ، ومن هنا أوصى النبي ﷺ عند وفاته : « لا يجتمع دينان في جزيرة العرب » ، ولم يخرج الرسول ﷺ

من الدنيا حتى ترك الأمة العربية مؤمنة مهذبة ، قادرة على تبليغ الرسالة الإسلامية مضطلعة بها مادياً وأدبياً مهيئة لتهذيب غيرها من الأمم ، ولقد فعلت ... فكانت الجزيرة العربية نقطة انطلاق خير وهدى للأمم الأخرى) [١] .

ولعل أظهر الآيات التي تدل على أنه لا يقبل من العرب المشركين إلا الإسلام أو القتل قوله تعالى : ﴿ **قل للمخلفين من الأعراب ستدعون إلى قوم أولي بأس شديد تقاتلونهم أو يسلمون** ﴾ [٢] .

ومما يمكن أن يكون سبباً من أسباب عدم قبول الجزية من مشركي العرب فإما إيمان وإما قتل: أن العرب هم المخاطبون أولاً بالإسلام قال عز وجل:﴿**وأنذر عشيرتك الأقربين**﴾[٣] وقد جعل المولى عز وجل رسالة الإسلام شرفاً لهم وتكرمة فقال جل شأنة : ﴿ **وإنه لذكر لك**

---

(١) من كتاب « آثار الحرب » للدكتور الزحيلي ، وكتاب « الرسالة الخالدة » للمرحوم عبد الرحمن عزام مع بعض التصرف .

(٢) سورة الفتح : آية ١٦ .

(٣) سورة الشعراء : الآية ٢١٤ .

ولقومك ﴾ أى شرف لك ولقومك وجعل مقابل هذه المنقبة شدة سؤالهم عن هذا الدين يوم القيامة فتم الآية بقوله : ﴿ وسوف تسألون ﴾ (١) .

وجعل الخلافة في قريش قال ﷺ : « الأئمة من قريش » .

وقريش من العرب فهذه منقبة أخرى لذلك كانت القيادة للإنسانية بهذا الدين والهداية إليه مهمتهم ممن تخلى عن هذه الأمانة منهم فلم يحملها وتنكر لهذه المنة فلم يشكرها وهوى إلى أحط حضيض يمكن أن تهوي إليه الإنسانية وهو الوثنية كان حقه القتل لا شك لأنه لا ينبغي لمنكر النعمة ومضيع الأمانة الإلهية أن يعيش في المجتمع الإنساني .

وبما أن العرب يسكنون في جزيرتهم فهي مركز قيادتهم وقاعدة إنطلاقهم لتبليغ دعوة ربهم التي كلفهم بها ليبلغوها إلى العالم لذلك أرادها تعالى خالصة لهم لا يساكنهم فيها غير أهل دينهم لذلك قال ﷺ في مرضه الذي توفي فيه : لا يجتمع دينان في جزيرة العرب .

---

(١) سورة الزخرف : الآية ٤٤ .

وقوله سبحانه : ﴿ فإذا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم ﴾[١] .

☆ ☆ ☆

أما الوثنيون من غير العرب كالمجوس . .

فيجوز أخذ الجزية منهم والبقاء على دينهم ، لما روى الجصَّاص أنه عليه الصلاة والسلام لما سئل عن معاملة المجوس قال : « سنّوابهم سّنة أهل الكتاب » .

ولكن لا تعقد لهم الذمة إلا بشروط :

فمن كلام فقهاء الحنابلة : (لا تعقد الذمة إلا لأهل الكتاب ، أو لمن لهم شبهة كتاب كالمجوس ، ويجب على الإمام عقد الذمة لهم حيث أمن مكرهم ، والتزموا بأربعة أحكام :

أحدهـا : أن يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون .

الثاني : أن لا يذكروا دين الإسلام إلا بخير .

الثالث : أن لا يفعلوا ما فيه ضرر على المسلمين .

---

(١) سورة التوبة : آية ٥ .

الرابع : أن تجرى عليهم أحكام الإسلام في نفس ومالٍ وعرض وإقامة حد . .)(١) والأدلة على الجواز كما يلي :

- روى أحمد البخاري وأبو داود والترمذي أن عمر رضي الله عنه لم يأخذ الجزية من المجوس حتى شهد عبد الرحمن بن عوف أن رسول الله ﷺ أخذها من مجوس « هَجَر » ، وفي رواية للشافعي - كما ذكر الجصاص - أشهد أني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « سنّوابهم سنّة أهل الكتاب » .

- وروى أبو عبيد أيضا عن ابن شهاب الزهري قال : بلغني أن الرسول ﷺ أخذ الجزية من مجوس البحرين .

- وروى أبو عبيد أيضاً عن ابن شهاب الزهري قال:بلغني أن أن رسول الله ﷺ أخذ من مجوس البحرين ، وأن عمر رضي الله عنه أخذها من مجوس « فارس » ، وأن عثمان بن عفان رضي الله عنه أخذها من البربر .

- وروى أحمد والترمذي أن رسول الله ﷺ قال لعمه أبي طالب : « ياعم أريد منهم كلمة تدين لهم بها العرب ، وتؤدي

---

(١) من دليل الطالب : باب « عقد الذمة » .

إليهم بها العجم الجزية قال : ما هي ؟ قال : شهادة أن لا إله إلا الله » .

فالذي أخلص إليه بعد ما تقدم :

أن الوثنيين إن كانوا عرباً فليس أمامهم سوى شيئين : إما الاسلام وإما القتال .

وإن كانوا من غير العرب فيجوز أخذ الجزية منهم والبقاء على دينهم ، لما ثبت : « سنّوا بهم سنة أهل الكتاب »

☆ ☆ ☆

٣ ـ موقف الإسلام من الملحدين أو المرتدين :

قبل أن نذكر موقف الإسلام من هؤلاء يحسن أن نبين ما المقصود من الارتداد ؟ وما المقصود من الإلحاد ؟

المقصود من الارتداد :

ترك المسلم دينه الذي ارتضاه الله له واعتناق دين آخر غير دين الإسلام ، أو إيمانه بعقيدة مكفرة تتنافى مع نظام الإسلام .

والمقصود من الإلحاد :

التنكر للذات الإلهية ، وجحود الرسالات السماوية التي أنزلها الله سبحانه على الرسل صلوات الله وسلامه عليهم . . بل معنى الإلحاد باختصار :

إنكار كل ما هو غيبي تنزّل بالكتب ، وجاء على لسان الرسل .

وكلا الارتداد والإلحاد : من العوامل المهدرة لكرامة الإنسان ، المحطمة لشخصيته ، المفقدة لذاتيته واعتباره . .

فالإسلام لا يسمح بهما ، ولا يترك للمسلم الحرية فيهما ، ولا يترك المجال لمن ينتسب إلى هذا الإسلام أن يتظاهر بواحد منهما . . لما لهاتين الظاهرتين من هدم للعقيدة ، وفقدان للإيمان ، واستئصال لمعالم الهدى في كيان الإنسان !! .

☆ ☆ ☆

وللارتداد مظاهر كثيرة :

● **من مظاهر الارتداد :** رفع الشعارات التي تصرف وجه الإنسان عن أن يكون الله معبوده ومقصوده ، ويدخل في هذا النوع حالات كثيرة :

أ ـ أن يرفع المسلم **شعار القومية** جاعلاً إياه هدفاً وغاية يدعو له ويعمل من أجله ، ويقاتل في سبيله ، والرسول ﷺ يقول ـ فيما رواه أبو داود ـ : « ليس منا مَنْ دعا إلى عصبية ، وليس منا مَنْ قاتل على عصبية ، وليس منا مَنْ مات على عصبية » .

ب ـ أن يرفع المسلم **شعار الوطنية** جاعلاً إياه هدفاً

وغاية يدعو له ويعمل من أجله ، ويجاهد في سبيله ، ولقد عاب الله عز وجل على أقوام تعلّقوا بأوطانهم فأنزل في حقهم : ﴿ **ولو أنا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا من دياركم ما فعلوه إلا قليل منهم ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به لكان خيراً لهم وأشد تثبيتاً** ﴾[١] .

فالارتداد منحصر في دائرة العمل لأجل رفع شعار الوطنية ، وتقديس هذا الشعار حتى العبادة دون أن يكون الله فيه ذكر ، أو للإيمان به غاية . .

أما إذا كان العمل في هذا السبيل لأجل الله ، وتنفيذ ما أمر ، وكان مما أمر القيام بما فيه مصلحة الوطن الإسلامي ، والحفاظ على أرض الإسلام ، والدفاع عن العرض ، والشرف ، والنفس ، والمال ، والدين . . فهذا ـ ولا شك ـ من العبادة التي تستأهل رضى الله عزّ وجل ، وتدفع إلى الشهادة أو النصر ، وصدق رسول الله ﷺ القائل ـ فيما رواه أبو داود ـ : « من قُتِلَ دون ماله فهو شهيد ، ومن قتل دون دمه فهو شهيد ، ومن قتل

---

(١) سورة النساء : آية ٦٦ .

دون دينه فهو شهيد ، ومن قتل دون أهله فهو شهيد » .

ج - أن يرفع المسلم **شعار الإنسانية** (١) دون أن يجول في خاطره أو يدور في خلده أنه يعمل لأن الله أمره بهدايتها ، والتعارف على شعوبها ، وأن يكون في تقواه من أكرمها . . والله

---

(١) هذا الشعار ترفعه الماسونية العالمية ، ومن ورائها اليهودية ، فهي التي طرحت مبدأ « الدين لله والوطن للجميع » ، وعلى أعقاب طرح هذا المبدأ توصلت إلى أن المسلمين والنصارى والمجوس واليهود . . . إخوة في الوطن ، فلا دين يفرقهم ، ولا عقيدة سماوية تقف دون إخائهم وتآلفهم . . ثم بعد أن يتمكن المنتسبون إلى الماسونية في الضلال ، تكاشف أعضاءها بأنه لولا الأنبياء والرسل المضللون لكان الناس أمة واحدة لا يفرقهم دين ولا مذهب ، ولا شيخ ولا قسيس . . ثم تصارحهم قائلة : « إن غايتنا هي إبادة الدين من الوجود » ، وليس مقصودهم بالطبع الدين اليهودي المقدس ، وإنما المقصود الأديان كلها عدا اليهودية !! .
فمن مبادىء الماسونية : « سوف نتخذ الماسونية غاية من دون الله » ، « يجب خلق جيل لا يستحي من كشف عورته » ، « إن النضال ضد الأديان لا يبلغ نهايته إلا بعد فصل الدين عن الدولة » .

لقد استطاعت الماسونية أن تخدع كثيراً من كبار القوم من المسلمين ببريق شعاراتها الزائفة باسم « الحرية ، والإخاء ، والمساواة » حيناً ، وباسم « الوطنية ، والقومية ، والإنسانية . . » أحياناً . . فوقع كثير ممن يدّعون التنوّر والتقدم في شباك صيدها ، وكانت قد ربتهم صغاراً في مدارسها ومعاهدها ، فاستقبلتهم كباراً في محافلها وأنديتها . . من أجل تنفيذ مخططات اليهودية والوصول إلى أهدافها .

سبحانه يقول في سورة الحجرات : ﴿ **يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم . .** ﴾[١].

د ـ أن يرفع المسلم شعار « **الاشتراكية** » اعتقاداً منه أنه المبدأ الوحيد الذي يرفع كرامة العامل ، والفلاح ، والموظف . . ويستأصل من المجتمع جذور الثالوث المخيف : الفقر ، والمرض ، والجهل ؛ دون أن يخطر بباله أن الإسلام جاء بنظام تكافلي عظيم يحقق للفقراء حاجتهم ، وللأفرد كفايتهم ، وللعاجزين كفالتهم ، وللأمة عدالتها . . وشعاره في ذلك :

﴿ **وفي أموالهم حق للسائل والمحروم** ﴾[٢] ؛ ودون أن يعلم أن التجربة في تطبيق هذا النظام في الماضي كان له أكبر الأثر في محاربة الإسلام للفقر ، واستئصاله من المجتمع جذور الفاقة والحرمان !! . . والتاريخ أكبر شاهد على ذلك[٣] .

---

(١) آية : ١٣

(٢) سورة الذاريات : الآية ١٩ .

(٣) ارجع إلى كتابنا « التكافل الاجتماعي في الإسلام » تجد فيه ما يبل الصدى ويشفي الغليل .

وعلى العموم أقول ـ أخي القارى ـ : إن كل شعار يرفعه المسلم لا يستمده من أنظمة الإسلام ولا يبغي من ورائه رضوان الله ولا إعزاز دينه . . فهو شعار الجاهلية ، فالذي يتبنّاه ، ويدعو له ، ويكافح في سبيله . . مرتدّ ضالّ خارج عن ملة الإسلام ، محارب لله ورسوله : ﴿ **إن هي إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان إن يتبعون إلا الظنّ وماتهوى الأنفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى**﴾(١) .

والمسلم المؤمن هو الذي يردّد هذا الشعار القرآني صباحاً ومساءً ﴿ **قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين * لا شريك له وبذلك أمرتُ وأنا أول المسلمين** ﴾(٢). ليبقى ولاؤه لله ولدينه مستمراً متجدداً على مدى الزمان والأيام .

● ومن مظاهر الارتداد إعطاء حق الحاكمية والتشريع لغير الله .

من اعتقد أو رضي بحاكمية غير حاكمية الله عز وجل كان

---

(١) سورة النجم : آية ٢٣ .

(٢) سورة الأنعام : آية ١٦٢ ـ ١٦٣ .

مرتداً لتأكيد النصوص على كفره وارتداده :

ـ قال تعالى في سورة المائدة : ﴿ **ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون** ﴾[1] .

ـ وقال في سورة الأحزاب : ﴿ **ما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرَة من أمرهم ..** ﴾[2] .

ـ وقال في سورة التوبة : ﴿ **اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله ..** ﴾[3] .

ـ وقال في سورة الأنعام : ﴿ **إن الحكم إلا لله يقصّ الحق وهو خير الفاصلين** ﴾[4] .

ـ وقال في سورة النساء :﴿ **فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكّموك فيما شجر بينهم ...** ﴾[5] .

---

(١) آية : ٤٤ .

(٢) آية : ٣٦ .

(٣) آية : ٣١ .

(٤) آية : ٥٧ .

(٥) آية : ٦٥ .

● ومن مظاهر الارتداد كراهية شيء من أنظمة الإسلام ، أو تفضيل غيرها عليها أو مساواة غيرها بها كأن يقول قائل :

أنا أكره الصيام لأنه مؤخر لاقتصاد الأمة ، أو يقول آخر:أنا أكره حجاب المرأة لأنه من علامات التخلف أو يقول ثالث:أناأكره الإسلام لأنه يحرم الربا والاختلاط ، أو يقول رابع ، ما يشابه هذه الأقوال . . .

قال تعالى في سورة محمد : « **والذين كفروا فتعساً لهم وأضل أعمالهم * ذلك بأنهم كرهوا ما أنزل الله فأحبط أعمالهم** ﴾[1] .

● ومن مظاهر الارتداد الاستهزاء بشىء من القرآن الكريم ، أو السنة المطهرة ، أو شعيرة من شعائر الإسلام . . كالاستهزاء بميراث الإسلام ، لكونه لم يسوّ بالإرث بين الرجل والمرأة ، أو الاستهزاء بالسنة لكونها حرمت الذهب على الرجال ، أو الاستهزاء بشعيرة الأذان حين الأذان ، أو الاستهزاء بالمتدينين وأهل اللحى . . .

---

(١) آية : ٨ ، ٩ .

قال تعالى في سورة التوبة : ﴿ **يحذر المنافقون أن تنزل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم قل استهزؤوا إن الله مخرج ما تحذرون * ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤون * لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم إن نعف عن طائفة منكم نعذب طائفة بأنهم كانوا مجرمين** ﴾[١] .

وإلى هذا أشار الرسول ﷺ بقوله ـ فيما رواه البخاري ـ حين قال : « إن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يُلقي لها بالاً يَهْوِي بها في جهنم سبعين خريفاً » .

● **ومن مظاهر الارتداد تحليل ما حرم الله ، وتحريم ماأحل الله ؛**

فالتحليل والتحريم من حق الله عز وجل ، ومن حق النبي عليه الصلاة والسلام الذي لا ينطق عن الهوى ، فالذي يحرّم ما أحله الله ، أو يُحلّ ما حرّم الله فإنه ينازع الله تعالى في حاكميته وتشريعه ، بل يعطي لنفسه حق الحاكمية والتشريع ، وهذا هو الكفر والضلال المبين .

(١) آية : ٦٤ ـ ٦٦ .

قال تعالى في سورة النحل : ﴿ **ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون * متاع قليل ولهم عذاب أليم** ﴾[١] .

وقال في سورة يونس : ﴿ **قل أرأيتم ما أنزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراماً وحلالاً قل آلله أذن لكم أم على الله تفترون ؟ وما ظن الذين يفترون على الله الكذب يوم القيامة ؟** ﴾[٢] .

● **ومن مظاهر الارتداد الإيمان ببعض مبادىء الإسلام والكفر ببعضها ؛**

كأن يؤمن المسلم بالإسلام أنه دين عبادة ، ويكفر بأنه نظام حكم ومنهج وحياة . . أو يؤمن بأن الإسلام نظام روحي وأخلاقي ، ويكفر بكونه دين سياسة وإقتصاد . .

والله سبحانه يقول في سورة البقرة : ﴿ **أفتؤمنون ببعض**

(١) آية : ١١٦ ـ ١١٧ .

(٢) آية : ٥٩ ـ ٦٠ .

الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزي في الحياة الدنيا ويوم القيامة يردّون إلى أشد العذاب ﴾ [١] .

● **ومن مظاهر الارتداد الإيمان بالقرآن وجحود السنة النبوية ؛**

بينما القرآن الكريم ركّز على طاعة النبي ﷺ ، واعتبرها طاعة لله ، وألزم المؤمنين طاعة الرسول ﷺ في كل أمر ونهي ، وقول وفعل . .

ـ قال تعالى في سورة النساء : ﴿ **مَنْ يطع الرسول فقد أطاع الله** ﴾[٢] .

وقال أيضاً في سورة النساء:﴿**فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً**﴾[٣] .

---

(١) آية : ٨٥ .

(٢) آية : ٨٠ .

(٣) آية : ٦٥ .

وقال في سورة النور: ﴿ **إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا ..** ﴾[١] .

ومما يؤكد هذه الطاعة ما رواه الترمذي وأبو داود وابن ماجه . . عن المقدام بن معد يكرب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : « ألاهل عسى رجل يبلغه الحديث عني ، وهو متكىء على أريكته فيقول: بيننا وبينكم كتاب الله ، فما وجدنا فيه حلالاً استحللناه ، وما وجدنا فيه حراماً حرّمناه ، وإن ما حرّم رسول الله ﷺ هو مثل ما حرّمه الله » .

وفي رواية لأبي داود: « ألا إني أوتيتُ الكتابَ ومثله معه » .

وكم سمعنا في هذا العصر عن مسؤولين في بعض البلاد العربية يجحدون السنة النبوية ، ويقفون منها موقف التكذيب وهم يتبجحون بالإسلام ، والإسلام في الحقيقة منهم براء ، وما نراهم إلا امتداداً لجماعة في الهند تدعى بالقاديانية ، وقد ربّاها الإنكليز

---

(١) آية : ٥١ .

من أجل هدم الشريعة الإسلامية ، والتشكيك بنبوة محمد ﷺ ؟ !! .

● **ومن مظاهر الارتداد موالاة الكافرين والمنافقين والملحدين . . وابتغاء العزة عندهم ، وبغض أهل الإيمان والدعوة إلى الله من المسلمين .**

ـ والله سبحانه يقول في سورة المائدة : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزواً ولعباً من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم والكفار أولياء واتقوا الله إن كنتم مؤمنين** ﴾[١] .

ـ ويقول في سورة المائدة أيضاً : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومَن يتولّهم منكم فإنه منهم إن الله لا يهدي القوم الظالمين** ﴾[٢] .

ـ ويقول في سورة التوبة : ﴿ **المنافقون والمنافقات**

---

(١) آية : ٥٧ .

(٢) آية : ٥١ .

بعضهم من بعض يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف ويقبضون أيديهم نسوا الله فنسيهم إن المنافقين هم الفاسقون ﴾[١] .

﴿ ولا تصلّ على أحد منهم مات أبداً ولا تقم على قبره إنهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون ﴾[٢] .

- ويقول في سورة التوبة أيضاً : **﴿ ياأيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم وإخوانكم أولياء إن استحبوا الكفر على الإيمان ومن يتولّهم منكم فأولئك هم الظالمون ﴾[٣] .**

● ومن مظاهر الارتداد سوء الأدب مع حضرة النبي ﷺ كالاستهزاء بخصوصية من خصوصياته ، أو عمل من أعماله . .

كأمثال من يغمز الرسول ﷺ في تعدد زوجاته ، أو ادعى أنه رجل مصلح وزعيم عبقري كغيره من الفلاسفة والمصلحين . .

---

(١) آية : ٦٧ .

(٢) آية : ٨٤ .

(٣) آية : ٢٣ .

أو اتهم بعض زوجاته الطاهرات بالفاحشة . . .

قال تعالى في سورة الحجرات : ﴿ **يأيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون** ﴾[١] .

فإذا كان رفع الصوت في حضرته ﷺ مظنّة ردّة ، وحبوط عمل . . فكيف بما هو أكبر من ذلك ؟

● **ومن مظاهر الارتداد ادعاء من يدعي أن للقرآن باطناً يخالف الظاهر ، وظاهراً يخالف الباطن . .**

وأن هذا الباطني يستغل بعلمه فئة من الناس بواسطة الفتوح أو الإلهام . .

فهذا الادعاء تعطيل للشريعة الإسلامية بتعطيل نصوصها وهدم لأنظمتها لتأويل نصوصها على خلاف وجهها وإذا استفحل هذا الادعاء في المسلمين ـ لا سمح الله ـ لم يبق للمسلمين أصل للشريعة يرجعون اليه ، ولا قواعد من اللغة العربية يحتكمون

(١) آية : ٢ .

إليها . . والقرآن الكريم نزل بلسان عربي مبين : ﴿ **إنا أنزلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون** ﴾[١] .

﴿ **وكذلك أنزلناه حكماً عربياً** ﴾[٢] ، ﴿ **وهذا كتاب مصدّق لساناً عربياً . .** ﴾[٣] .

فكل تفسير لأي نص من نصوص الشريعة الغراء لا يستند على قواعد اللغة العربية ، والبيان العربي ، وشواهد العرب ، فهو تفسير باطل يخرج صاحبه من دائرة الإيمان ، وحقيقة الإسلام . . ولا شك أن أصحاب هذه الدعوات الباطلة هم من كبار الباطنية والزنادقة الضالّين ، ومن عِلْيَة الكَفَرةِ والملحدين . .

● **ومن مظاهر الارتداد وصف الله سبحانه بأوصاف لاتليق به جلّ جلاله .**

ـ فالذي يقول : « إن الله يحلّ بالأجسام » هو كافر ضالّ .

ـ أو يقول : « إن لله جسماً كأجسامنا » هو كافر ضالّ .

(١) سورة يوسف : آية ٢ .

(٢) سورة الرعد : آية ٣٧ .

(٣) سورة الأحقاف : آية ١٢ .

ـ أو يقول : « إن الله ثالث ثلاثة » هو كافر ضال .

ـ أو يقول : « إن الله فقير ونحن أغنياء » هو كافر ضال . . .

إلى غير ذلك من هذه الأقوال التي لا تليق بوصف الربوبية ، ولا تتلاءم مع كماله سبحانه ، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً .

فالله سبحانه لا يشابهه شيء لا في أقواله ولا في أفعاله ، ولا في صفاته . . وهو المنزّه عن الزمان ، والمكان ، والحلولية ، والجسمية . . وهو المتفرّد ؛ بالجلال ، والكمال ، والوحدانية ، والربوبية . . ﴿ **لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير** ﴾[١]، ﴿ **ليس كمثله شيء وهو السميع البصير** ﴾[٢] . ﴿ **لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد** ﴾[٣] .

إلى غير ذلك :

---

(١) سورة الأنعام : آية ١٠٣ .

(٢) سورة الشورى : آية ١١ .

(٣) سورة الإخلاص : آية ٣ .

من هذه الاعتقادات الباطلة والأفكار الضالة . . التي توقع أصحابها في الردّة ، وتُخرجهم عن ملة الإسلام . . فعلى كل مؤمن أن يحذر كل اعتقاد ، وكل قول ، وكل فعل . . يؤدي به إلى الكفر ، ويطيح بقدمه إلى هاوية الزيغ والضلال . . كما عليه أن يبادر إلى الأعمال الصالحة والتمسك بعروة الإسلام الوثقى وأن يرجع إلى أهل العلم الثقات يستفتيهم عن كل ما يعرض له من وساوس وأفكار ، وعن كل ما يسمعه من آراء ترتبط بالعقيدة الإسلامية ، وأصول الإيمان . . مخافة الانزلاق في متاهات الزيغ ، وهاوية الفتنة . . حتى إذا لقي الله عز وجل لقيه بقلب مؤمن ، ووجه مستبشر ، ونفس مطمئنة راضية ، وإيمان بالحق لا تشوبه شائبة . . وصدق رسول الله ﷺ القائل ـ فيما رواه مسلم وأحمد : « بادروا إلى الأعمال الصالحة ، فإنه ستكون فتن كقطع الليل المظلم ، يُمسي الرجل مؤمناً ويصبح كافراً ، ويصبح مؤمناً ويمسي كافراً ، يبيع دينه بعَرَضٍ من الدنيا قليل » .

نسأل الله سبحانه أن يجنب المسلمين الخطأ والزلل ، ويحفظهم من الزيغ في الاعتقاد والقول والعمل . . كما نسأله

سبحانه أن يثبتنا جميعاً بالقول الثابت ، وأن يسيرنا على منهجه الواضح ، وأن يحفظنا من الفتن ما ظهر منها وما بطن . . إنه أكرم مسؤول .

☆ ☆ ☆

أما الإلحاد :

فقد سبق أن ذكرنا أن المقصود منه التنكر للذات الإلهية ، وجحود الرسالات والأديان التي جاء بها رسل الله صلوات الله وسلامه عليهم ، وهو يندرج في مفهوم الردة لكون الملحد جاحداً لدين الله ، منكراً لأركان الإيمان ، وأصول الشرائع . .

والإلحاد اليوم تتبناه دول كبرى ، وتفرضه على من تحت سلطانها بقوة الحديد والنار ، وبسلطان القهر والإكراه . . وأصبح لهذه الدول - ويا للأسف - في كل بلد عملاء وقيادات منبثة في العالم الإنساني هناوهناك . . تدعو إلى الإلحاد جهاراً نهاراً ، وتتنكر للأديان ، وتتطاول على ذات الله جل جلاله بلا حياء ولا خجل !! .

بل نجد أن هذه الدولة الإلحادية تركز في دعوتها الإلحادية على العالم الإسلامي بشكل خاص . . لما يعلم دعاة الإلحاد من ماركسيين وغيرهم ما للإسلام من قوة انتشار ، وحيوية نظم ، واندفاع رجال ؛ وما يمتاز به من مقومات الحضارة والشمول ، ومن مقضيات التنوع والتجدد والاستمرار . .

وعلى الخصوص الدول الشيوعية ، فإنها تتفنن في بث مبادئها وإلحادها بأساليب متنوعة ، وفنون كثيرة في المجتمعات الإسلامية .

وإليكم أهم هذه الأساليب في الهدم والتضليل :

ـ تارة يلبسون الماركسية ،والمبادىء الشيوعية ثوب الإسلام ؛ فمن أقوال دعاتهم : إن محمداً ﷺ أول من دعا إلى المساواة بين الغني والفقير ، وأول من رفع لواء الاشتراكية ، فهو رسول الماركسية ، ونبيّ الشيوعية !! .

ـ وتارة يقولون : إن الماركسية لا تتنافى مع الإسلام ، ولا تتعارض مع أنظمته ومبادئه !! .

وأخرى يقولون : ما المانع من أن نأخذ المبادىء الشيوعية كنظام اقتصادي ونبقي نحن مؤمنين مسلمين ؟ !! .

ـ وأحياناً يقولون : إن الدين شيء ، والمذاهب الاقتصادية شيء أخر ، فلا يجوز أن نخلط الدين بالسياسة ونخلط الإسلام بالنظم الاقتصادية ، والنظريات العلمية !! .

- وفي كثير من الأحيان يستغلون النظريات العلمية لترويج إلحادهم وضلالهم ، كاستغلالهم « نظرية دارون » التي تتحدث عن أصل الحياة ، وتطورها من الأدنى إلى الأعلى . . وكيف تطورت من حيوان إلى قرد إلى إنسان ..

وكاستغلالهم « نظرية فرويد » التي تربط كل شيء بالجنس والشهوة . .

وكاستغلالهم«التاريخ» في تفسير الثورات، وتقدم الشعوب . .

ليصلوا من وراء هذا الاستغلال الأثيم إلى التشكيك بالخالق ، ومبادىء الإسلام ، ومفاخر تاريخه !! .

وكثيراً ما ينتهزون الفرص المواتية ليكون التحدي صريحاً ، والإلحاد سافراً والمحادة لله ورسوله وقحة . . كأن يقول قائلهم : « ان الله ، والأديان ،والإقطاع ، والرأسمالية ، والمتخمين . . وكل القيم التي سادت في المجتمع السابق ليست إلا دمى محنطة في متاحف التاريخ [1] . . » ؛ أو يقول : « لا إله في الكون والحياة

---

(١) قال هذا « إبراهيم خلاص » في مجلة « جيش الشعب » السورية .

مادة » ؛ أو يقول : « الأنبياء لصوص كذابون » . . . .

فتبين من هذا التفنن الماكر ، والأساليب الملتوية . .

أن الماركسية القائمة على الإلحاد تعطي لكل حالة لبوسها ، ولكل فئة إقناعها ، ولكل طبقة ما يناسبها من التزوير والخداع ، حتى إذا ولج المخدوع الباب ، ووقع في شبكة الصياد . . زين له دعاة الإلحاد الماركسي المذاهب الإلحادية ، والمبادىء الشيوعية . .

فإذا كانت العقيدة الإسلامية خاوية من نفسه ، والإيمان بالله ضعيفاً في قلبه ، فيتدرج هذا المخدوع نحو الإلحاد خطوة خطوة . حتى يقع المسكين في مهاوي الضلال ، ويتخبط في مستنقع الإلحاد ، فعندئذ يكون عارياً من كل عقيدة ربانية ، ومفهوم إسلامي ، ومبادىء خلقية . . بل يعلن بكل صفاقة أنه أصبح لا يؤمن بالله ، ولا يعتقد بدين أو غيب . . وفي نهاية المطاف يكون من الزمرة التي قال الله عنها في سورة محمد: **﴿أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم*ذلك بأنهم اتبعوا ماأسخط الله وكرهوا**

رضوانه فأحبط أعمالهم ﴾[١] .

والإلحاد وإن كان يدخل في مفهوم الردة إلا أنه أعظم سوءاً ، وأشد خطراً على الفرد والمجتمع من أية ردة أخرى كاعتناق النصرانية أو اليهودية . .

لماذا كان الإلحاد أشد خطراً ؟

- لأنه يميت في نفس الملحد الشعور بالمسؤولية .

- ولأنه يهدم في حسبانه الإيمان بالغيب ، والمثل الأخلاقية الثابتة .

- ولأنه يندفع بكليته نحو الإباحية الآثمة واللذة الفاجرة .

- ولأنه يقتل فيه روح التطلع نحو الكمال الإنساني المتميز .

- ولأنه يفقده اعتبار الذاتية ، واستشعار الشخصية .

من أجل هذا سخر القرآن الكريم من هؤلاء الدهريين الملحدين حين قال :﴿ **وقالوا ما هي إلا حياتنا الدنيا**

---

(١) آية : ٢٢ ، ٢٨ .

نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر ومالهم بذلك من علم إن هم إلا يظنون ﴾ [١] .

☆ ☆ ☆

ما هي عقوبة الملحد والمرتد ؟

يقف الإسلام من الملحدين والمرتدين موقفاً شديداً حاسماً لا هوادة فيه ولا رحمة . . ألا وهو عقوبة الإعدام بالسيف لكل من تثبت ردته ، أو يتبين للناس إلحاده !! ؛ لما روى البخاري وأحمد عن النبي ﷺ أنه قال : « من بدل دينه فاقتلوه » ولما روى الشيخان عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال : « لا يحل دم امرىء مسلم إلا بإحدى ثلاث :

الثيب الزاني ، والنفس بالنفس ، والتارك لدينه المفارق للجماعة » .

هل يستتاب الملحد والمرتد أم يقتلان فوراً ؟

لاخلاف بين الفقهاء في وجوب الاستتابة في حق الطفل

---

(١) سورة الجاثية : آية ٢٤ .

المميز بعد بلوغه ، وفي حق المجنون بعد إفاقته ، وفي حق السكران غير المعتدي بسكره بعد صحوه .

أما طلب الاستتابة في حق العاقل البالغ ففيها وقع الخلاف :

أ ـ فقهاء الحنفية وبعض الحنابلة ذهبوا إلى أن عرض الاستتابة على المرتد العاقل البالغ مستحب ، لأن الدعوة بلغته ، واستتابة من بلغته الدعوة غير واجبة ، بل هي مستحبة .

ب ـ وذهب فقهاء الشافعية والمالكية . . إلى أن الاستتابة واجبة ، وعلى الإمام أن يؤجل المرتد ثلاثة أيام ، ولا يحلّ قتله قبل ذلك . . لأن ارتداد المسلم غالباً ما يكون عن شبهة ، فلا بد من مدة يمكنه التأمل فيها ليتبين له وجه الحق .

وتقدير المدة بثلاثة أيام مستنتجة من فعل عمر رضي الله عنه ، روى الإمام مالك في الموطأ (عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه حين أخبره رجل أتاه من قبل أبي موسى الأشعري أنهم قتلوا رجلاً ارتد عن الإسلام ولم يستتيبوه ولم يؤجلوه ، فقال عمر : هلا حبستموه في بيت ثلاثة أيام ، وأطعمتموه في كل يوم

رغيفاً ، وأسقيتموه لعله يتوب ؟ ثم قال : اللهم إني لم أحضر ولم آمر ، ولم أرض إذ بلغني) .

فتبرؤ عمر رضي الله عنه من فعلهم يقتضي الإمهال ثلاثة أيام وجوباً ، فإن تاب ترك ، وإلا قتل فوراً بعد الإمهال .

ج ـ وذهب الحسن البصري إلى أن المرتد لا يستتاب بل يقتل في الحال .

د ـ وذهب عطاء إلى أن المرتد إن كان مولوداً على الإسلام ثم ارتد فإنه يقتل ولا يستتاب ، وإذا كان كافراً فأسلم ثم ارتد يستتاب .

هـ ـ وذهب ابن تيمية إلى أن الذي لا يستتاب أبداً هو من سبّ النبي ﷺ وأنه يقتل في الحال مسلماً كان أو كافراً !! .

والمرأة كالرجل في حكم الردة عند فقهاء الشافعية والمالكية والحنابلة . .

وقال الإمام أبو حنيفة : تحبس المرأة ولا تقتل .

توجيه هذه الآراء :

نحن اليوم في زمن تجند فيه للردة والإلحاد قوىً عالمية ومحلية ، وأحزاب سياسية وعقائدية ، وحكومات علمانية ولادينية . . . هذه القوى تدعو جهاراً نهاراً إلى مبادىء إلحادية ضالة ، وإلى عقائد علمانية هدامة . . لتحويل الجيل المسلم من الهدى إلى الضلال ، ومن الإيمان إلى الإلحاد ، ومن أنظمة الإسلام إلى أنظمة الكفر الزائفة .

بل أصبحنا ـ ويالِلأسف ـ نجد أكثر الحكومات في بلاد الإسلام لاتكترث بالإلحاد ولا الملحدين ، ولا تهتم بدعاة الضلال والإباحيين ، بل أصبح لهؤلاء في ظل بعض الحكومات اللادينية من الحرية الإلحادية ، والتمكن الدعائي . . ما يجعلهم أن يتطاولوا على ذات الله ، وأن ينالوا من شخصية الرسول عليه الصلاة والسلام ، وأن يتقوّلوا على نظام الإسلام ما شاؤوا وكيف أرادوا ؟ ! .

فإذا كان الأمر كذلك فما هو موقف المسلمين تجاه أولئك المتطاولين الملحدين ؟

الموقف يتطلب أن يكون المسلمون في كل بلد أكثر حزماً ، وأقوى جرأة ، وأعظم اندفاعاً . . في الوقوف الصامد أمام تيار الإلحاد الجارف ، وموجة الردة الهادرة بل يجب أن تلغى في نفوسهم حمية الإيمان ، وأن تتأجج في رؤوسهم نخوة الإسلام . لردّ كيدهم ، والحدّ من شرورهم وفسادهم .

ومن أهم هذه الوسائل التي يجب أن ينتهجها المسلمون في دفع تيار الردّة والإلحاد :

التوعية ، رد الشبهة ، إظهار قوة الإسلام الحضارية ، التحرك الحار في سبيل الدعوة ، فتح بيوت الله على مصراعيها لتعليم القرآن ، وتلقين مبادىء الإسلام . . ، تداول القصص الإسلامية ، والكتب الفكرية ، والنشرات التوجيهية بين أولاد المسلمين ، عقد ندوات فكرية وعلمية في المساجد وغيرها توضح حقائق الإسلام ، إقامة مسرحيات تاريخية وتوجيهية في كل مكان . .

إلى غير ذلك من هذه الوسائل الإيجابية ، والخطط العلمية التي ترد هذه الأمة إلى دينها ، وتوضح لأبنائها فكرة الإسلام

الكلية عن الكون والحياة والإنسان . .

ولكن إذا وجد في المجتمع الإسلامي من يتحدى الإسلام علناً ، ويتطاول على ذات الله جهاراً . .

فما هو موقف المسلمين تجاه هذا التطاول وهذا التحدي ؟

الموقف أن يقتلوه فوراً بلا رحمة ولا هوادة ، ولا إمهال ولا استتابة ، ليجعلوه عبرة لمن يريد أن يعتبر مهما كلفهم ذلك من ثمن .

ونكون في هذه الحال قد أخذنا برأي الحسن البصري رحمه الله الذي يتلخص : « بأن المرتد لا يستتاب بل يقتل في الحال » .

وأخذنا أيضاً برأي عطاء الذي يتلخص : « بأن المرتد إذا كان مولوداً على الإسلام ثم ارتد فإنه يقتل ولا يستتاب » .

وأخذنا كذلك بمذهب فقهاء الحنفية الذي يتلخص « بأن عرض الاستتابة على المرتد العاقل البالغ هو على وجه

الاستحباب لا على سبيل الوجوب » وبناء على هذا المذهب فإن المسلم إذا قَتَلَ مرتداً أو ملحداً من غير إمهال ولا استتابة فلا إثم عليه لأن عرض الاستتابة عليه على وجه الاستحباب .

ثم مَنْ الذي يمهل ويستتيب ؟

أليس الحاكم المسلم ؟

أليس القاضي الذي خوّله الخليفة صلاحية الاستتابة والإمهال ؟

وأين اليوم الحاكم المسلم الذي يحكم بما أنزل الله ؟

وأين القاضي المسلم ذو الحرية والصلاحية ؟

فإذا كان هذا معدوماً في كثير من المجتمعات الإسلامية فإن أمر الإمهال والاستتابة يسقط في حق المرتدين والملحدين على رأي من قال بوجوب إمهالهم واستتابتهم لعدم وجود حاكم مسلم ينفذ حدود الله وقاضي يقضي بين المسلمين بحكم الله عز وجل .

فما على المسلمين وأهل الرأي فيهم إلا أن يسعوا جهدهم ويجمعوا أمرهم في استئصال شأفة الإلحاد والارتداد في المجتمع الإسلامي ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً بالوسائل المشروعة

والخطط الإجابية التي نوهنا عنها على النطاق العام ، وبالقتل الفوري على النطاق الخاص إذا وجد ملحد يتحدى الإسلام علناً ، ويتطاول على ذات الله جهاراً ، وإن الله سبحانه سائلهم إذا فرطوا في هذه المسؤولية في يوم لا ينفع فيه مال ولابنون .

ويوم يكون المسلمون على اختلاف مستوياتهم على هذا المستوى في تحمل المسؤولية ، فإنه لا يبقى في المجتمع الإسلامي من يحيد عن الإسلام إلى الردة ؛ ولن يجرؤ ملحد عميل أن يتطاول على ذات الله ، أو يتحدى الإسلام !! .

فهل ينهض المسلمون في كل مكان إلى حمل مسؤولياتهم ؟

☆ ☆ ☆

ما هو موقف المسلمين من المرتدين إذا شكّلوا في المجتمع الإسلامي جماعة ، وكونوا فيما بينهم قوة ؟

الأصل أن يقوم الحاكم المسلم بقتالهم واستئصال شأفتهم حتى يعودوا إلى الدين الحق أو يقتلوا عن آخرهم فلا يجرؤ ملحد عميل

أن يتطاول على ذات الله ، فإنه لا يقبل منهم سوى الإسلام أو القتل .

وكما فعل الخليفة العباسي المهدى حين قاتل « المقنّع » الذي ادّعى الألوهية في خرسان ، وأسقط عن أتباعة الصلاة والزكاة والصوم . . . وأباح لهم الأموال و النساء .

ولما شعر المقنّع بالهزيمة أشعل النار في القلعة التي تحصّن فيها ، وأحرق كل ما فيها من دواب ، وثياب ، ومتاع . . وجمع نساءه وأولاده وأنصاره ، وطلب منهم أن يُلقْوا بأنفسهم في النار ليرفعوا إلى السماء وقال : « أنا صاعد إلى السماء فمن أراد أن يصحبني فليشرب من هذا الشراب » ، وسقاهم شراباً مسموماً شرب منه هو ، فماتوا جميعاً ، وألقى نساءه وأولاده في النار ، ثم ألقى بنفسه فيها خوفاً من أن يظفر أعداؤه بجثته أو جثث نسائه ، وذلك سنة / ١٦٩ / هـ .

وبعد موته أمن الناس من شر مبادئه الهدامة وكفره الآثم . . .

وإذا لم يوجد للمسلمين أولو أمر يستأصلون بسلطتهم شأفة

الإلحاد الجماعي ، والارتداد التكتّلي . . وجب عليهم أن ينهضوا بمسؤلياتهم في الإطاحة برؤوس الإلحاد ، وزعماء الارتداد ، وأن يهبوا - إذا اقتضى الحال - بثورة تستأصل هؤلاء الملحدين المرتدين على غرار ما يقع اليوم في أفغانستان ، وما يحدث في بعض بلاد الإسلام . .

وفي جهادهم هذا يتطهر المجتمع الإسلامي من بغيهم وفسادهم ، ويتحرّر من رجسهم وكفرهم . . وعندئذ يفرح المؤمنون بنصر الله .

☆ ☆ ☆

وربَّ سائل يقول :

لماذا فرض الإسلام على المرتد أو الملحد هذه العقوبة القاسية ؟

الإجابة على هذا السؤال من ثلاثة وجوه :

الأول :

حتى لا تجتذب المغريات المادية ، والمصالح الشخصية

والـدنيـويـة بعض ضعفـاء النفـوس ، وتحملهم على ترك دينهم أو الإلحاد فيه استجابة لداعي الإغراء والمصلحة الذاتية . .

الثاني :

حتى لا يفكر أيّ منافق بالدخول في الإسلام ثم الخروج منه تشجيعاً لحركة الردّة والإلحاد وزرع البلبلة والفتنة والتشكيك..في أنحاء المجتمع الإسلامي .

الثالث :

حتى لا تقوى شوكة الكفر والإلحاد في المجتمعات الإسلامية ، فتشكل الخطر الأكبر على عقيدة المسلمين ، فتعمل على حرب الإبادة متى وجدت الفرصة المواتية .

وهذا ليس من الحَجْر على حرية الرأي في شيء حين يقف الإسلام من الملحدين المرتـدين هـذا الموقف القـاسي، لأن الحريـة الدينية تعطي لغير المسلم-كما مر-قبل اعتناقه الإسلام وهو هنـا في الخيار إن شاء أن يدخل في الإسلام أو يبقى على دينه؛ أما بعد أن دخل في الإسلام، وأصبح عضواً في المجتمع المسلم فـلا يجـوز لـه

أن يخرج من الإسلام بحال من الأحوال للأمور التي ذكرناها آنفاً .

وكذلك الذي ولد مسلماً ، لا يجوز له بعد أن يكبر ويبلغ سن البلوغ أن يترك دينه ويعتنق ديناً آخر ، لأن الله سبحانه أكرمه بنعمة الهداية الإسلامية وهو صغير ، فكيف يجوز له أن يبدل نعمة الله عليه وهو كبير ؟ وكيف يحق له أن ينحدر من الأعلى إلى الأسفل بعد أن وضعه الله في منازل المؤمنين ؟ ! .

وفي تقديري أن الولد حين يولد وهو مسلم إذا أتيحت له من قبل أبويه تربية فاضلة ، ونشأ في بيئة صالحة ، وارتبط بجماعة إسلامية راشدة . . فلا شك أن الولد حينما يكبر ويترعرع ويبلغ سن النضج العقلي . . فلا يعرف سوى الإسلام ديناً وأحكاماً ، ولا يعرف سوى القرآن الكريم دستوراً ومنهاجاً ، ولا يعرف سوى رسول الله ﷺ زعيماً وقدوة . . وصدق رسول الله ﷺ القائل فيما رواه الطبراني ـ :

« أدّبوا أولادكم على ثلاث خصال : حبّ نبيكم ، وحبّ آل بيته ، وتلاوة القرآن ، فإن حَمَلَة القرآن في ظلّ عرش الله يوم لا ظل إلا ظلّه مع أنبيائه وأصفيائه » .

وفي مسؤولية الأبوين في تربية ولدهما على الإيمان والإسلام ، وتحذيرهما له من الكفر والضلال . يقول عليه الصلاة والسلام ـ فيما رواه البخاري ـ : « كل مولود يولد على الفطرة ، فأبواه يهوّدانه ، أو ينصّرانه ، أو يمجسانه » .

☆ ☆ ☆

نماذج من أفعال الوثنيين والملاحدة إذا تمكنوا من رقاب المسلمين :

● عندما ظهر الوثنيون التتار على المسلمين في بغداد ، وقعت المأساة الدامية التي سجلتها الروايات التاريخية ، والتي نكتفي منها بمقتطفات سريعة من تاريخ ابن كثير المسمى « بالبداية والنهاية » فيما رواه من أحداث عام / ٦٥٦ / هـ :

(« ومالوا على البلد فقتلوا جميع من قدروا عليه من الرجال والنساء والولدان والكهول والشباب . . . ودخل كثير من الناس في الآبار ، وأماكن الحشوش (البساتين) ، وقُنيّ الوسخ ، وكمنوا كذلك أياماً لا يظهرون ، وكان الجماعة من الناس يجتمعون إلى الخانات ، ويغلقون عليهم الأبواب ، ففتحها التتار إما بالكسر

وإما بالنار ، ثم يدخلون عليهم ، فيهربون منهم إلى أعالي الأمكنة ، فيقتلونهم بالأسطحة حتى تجري الميازيب من الدماء في الأزقة ـ فإنا لله وإنا إليه راجعون ـ كذلك في المساجد والجوامع والرُبُط (الثكنات) ،ولم ينج منهم سوى أهل الذمّة من اليهود والنصارى [١] ، ونجا منهم الوزير الخائن « ابن العلقمي » هو ومن يلوذ به ، ونجا منهم طائفة من التجار أخذوا أماناً بذلوا عليه أموالاً جزيلة حتى سَلِمُوا وسلمت أموالهم .

وعادت بغداد بعد ما كانت آنس المدن كلها كأنها خراب ليس فيها إلا القليل من الناس ، وهم في خوف ، وجوع ، وذلّة ، قلة .. ») .

« وقد اختلف الناس في كمية من قُتِلَ ببغداد من المسلمين في هذه الوقعة ، فقيل : ثمانمائة ألف ، وقيل : ألف ألف (أي مليون) . . وكان دخولهم إلى بغداد في أواخر المحرم ، وما زال

(١)ذلك أن اليهود والنصارى كانوا ممن كاتبوا التتار لغزو عاصمة الخلافة والقضاء على الإسلام والمسلمين فيها، وممن دلّوا على عورات المدينة ، وشاركوا مشاركة فعلية في هذه الكارثة ، واستقبلوا التتار الوثنيين بالترحاب ، ليستأصلوا لهم المسلمين الذين أعطوهم ذمتهم ، ووفّروا لهم الأمن والحماية .

السيف يقتل أهلها أربعين يوماً . . وقتل الخليفة المستعصم بالله وولداه . . وقتل العلماء والخطباء وحَمَلة القرآن ، وتعطلت المساجد والجماعات والجُمعات عدة شهور ببغداد . . » ، « ولما انقضى الأمر المقدر ، وانقضت الأربعون يوماً ، بقيت بغداد خاوية على عروشها ، ليس بها أحد إلا الشاذّ من الناس ، والقتلى في الطرقات كأنها التّلول ، وقد سقط عليهم المطر ، فتغيرت صورهم ، وأنْتَنَتْ من جيفهم البلد ، وتغّير الهواء فحصل تغيّر الجوّ ، وفساد الريح ، فاجتمع على الناس الغلاء والوباء والطاعون . . فإناّ لله وإنا إليه راجعون » .

« ولما نودي ببغداد الأمان خرج من تحت الأرض مَنْ كان بالمطامير والقنيّ (أقنية الماء) والمقابر . . كأنهم الموتى إذا نبشوا من قبورهم ، وقد أنكر بعضهم بعضاً ، فلا يعرف الوالد ولده ، ولا الأخ أخاه وقد أخذهم الوباء الشديد ، فتفانوا وتلاحقوا بمن سبقهم من القتلى .. ») أ هـ .

يقول شهيد الإسلام « سيد قطب » رحمه الله في تفسير الظلال (المجلد الرابع) ص : ١٣٢ :

● إن الواقع التاريخي الحديث لا تختلف صوره عن الواقع التاريخي القديم !! . . إن ما وقع من الوثنيين الهنود عند انفصال باكستان لا يقلّ شناعة عمّا وقع من التتار في ذلك الزمن البعيد .

إن ثمانية ملايين من المهاجرين المسلمين من الهند ممّن أفزعتهم الهجمات البربرية المتوحشة على المسلمين الباقين في الهند ، فآثروا الهجرة على البقاء . . وقد وصل منهم إلى أطراف باكستان ثلاثة ملايين فقط !! أما الملايين الخمسة الباقية فقد قضوا بالطريق . . حيث طلعت عليهم العصابات الهندية المنظمة فذبحتهم كالخراف على طول الطريق ، وتركت جثثهم نهباً للطير والوحش . . بعد التمثيل بها ببشاعة منكرة لا تقلّ عما صنعه التتار بالمسلمين من أهل بغداد !! .

● ثم ماذا فعل خلفاء التتار في الصين الشيوعية ، وروسيا الشيوعية بالمسلمين هناك ؟ لقد أبادوا من المسلمين خلال ربع قرن ستة وعشرين مليوناً ، بمعدل مليون في السنة وما تزال عمليات الإبادة ماضية في الطريق ، وقد وقع في القطاع الصيني من التركستان المسلمة ما يغطّي على بشاعة التتار :

لقد جيء بأحد زعماء المسلمين فحفرت له حفرة في الطريق العام ، وكلف المسلمون تحت وطأة التعذيب والإرهاب أن يأتوا بفضلاتهم الآدمية فيلقوها على الزعيم المسلم في حفرته . . وظلت العملية ثلاثة أيام ، والرجل يختنق في الحفرة على هذا النحو حتى مات شهيداً رحمه الله .

● وكذلك فعلت يوغوسلافيا الشيوعية بالمسلمين فيها . .

حتى أبادت منهم مليوناً منذ الفترة التي صارت فيها شيوعية بعد الحرب العالمية الثانية إلى اليوم . .

وما زالت عمليات الإبادة والتعذيب الوحشي - التي من أمثلتها البشعة إلقاء المسلمين رجالاً ونساءً في مفارم اللحوم التي تصنع لحوم « البولوبيف » ليخرجوا من الناحية الأخرى عجينة من اللحم والعظم والدماء - ما زالت ماضية حتى الأن .

● وكم سمعنا عن مجازر الشيوعية في العراق في عهد عبد الكريم قاسم ، ومجازرهم في اليمن الجنوبية ، ومجازرهم في أفغانستان الآن ؟

كم سمعنا عن فتكهم وإجرامهم في هذه البلاد وبلاد غيرها

وعن حوادث السحل والقتل والتمثيل بالدعاة المؤمنين ، والجماعات المسلمة هنا وهناك ؟ .

وصدق الله العظيم القائل :

- ﴿ لايرقبون في مؤمن إلّا ولا ذمة وأولئك هم المعتدون ﴾ [١] .

- ﴿ ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردّوكم عن دينكم إن استطاعوا . . ﴾ [٢] .

وفي الحقيقة لا ينفع المسلمين شيء في مقاومة التكتل الشيوعي الإلحادي على أرض الإسلام سوى إعلانهم الجهاد المقدس ، حيث ينطلقون جميعاً تحت إمرة قيادة سياسية مؤمنة لمحاربة الإلحاد وأهله وعملائه . . حتى يقضي الله أمراً كان مفعولاً .

وحيّا الله شعب « أفغانستان » المسلم الذي انطلق تحت شعار الجهاد الإسلامي المقدس لمحاربة الحكم الشيوعي العميل ، وردّ

---

(١) سورة التوبة : آية ١٠ .

(٢) سورة البقرة : آية ٢١٧ .

الأمة الأفغانية إلى حكم الإسلام الأصيل ، وإلى شخصيتها الإسلامية المتميزة . . قد انطلقوا تحت شعار الجهاد لأنهم آمنوا إيماناً جازماً أنه لا يحل مشكلة الإلحاد ، ولا يطيح بحكم الطواغيت العملاء . إلا أن يقدموا أموالهم وأنفسهم قرباناً لله ووصولاً إلى النصر المؤزر . .

وإنهم لمنصورون بإذن الله ، وسيعطون للشعوب المسلمة الرازحة تحت الحكم الشيوعي في بلاد الإسلام قدوة في الجهاد والتحرير والنصر . . وما ذلك على الله بعزيز . .

- ﴿ ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين * إنهم هم المنصورون * وإن جندناهم الغالبون ﴾ (١) .

- ﴿ والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون ﴾ (٢) .

- ﴿ إن ينصركم الله فلا غالب لكم ﴾ (٣) .

---

(١) سورة الصافات : آية ١٧١ ـ ١٧٣ .

(٢) سورة يوسف : آية ٢١ .

(٣) سورة آل عمران : آية ١٦٠ .

٤ ـ موقف الإسلام من المنافقين :

ما هو النفاق وما هي صفات المنافقين ؟

النفاق ـ أعاذنا الله منه ـ هو أن يتظاهر المنافق بالإسلام ، ويبطن الكفر لأغراض خبيثة ، وأهداف خسيسة . .

ومن أوصافهم كما ذكر القرآن الكريم في سورة البقرة :

ـ ﴿ ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين* يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون ﴾[1] .

﴿ في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضاً ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون ﴾[1] .

ـ ﴿ وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون * ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون ﴾[1]

ـ ﴿ وإذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء ألا إنهم هم السفهاء ولكن لايعلمون ﴾[1] .

---

(١) الآيات : ٨ ـ ١٣ .

- ﴿ **وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا ، وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزؤون * الله يستهزىء بهم ويمدهم في طغيانهم يعمهون** ﴾[1] .

- ﴿ **أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين** ﴾[1] .

على ضوء هذه الأيات الناطقة بالحق يتبين أن المنافق غير مؤمن ، وقلبه مريض عفن ، وحديثه تزوير وكذب ، وعمله في الفتنة والإضرار مفسد ، واتصافه بالسفاهة متحقق ، وإتيانه هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه شيء متأصل .

ومن هذه الصفات للنفاق نعلم أنه ليس كالنفاق آفة تحلق المروءة والرجولة ، وليس كالنفاق خطر أعظم منه على الفرد والمجتمع ، وليس كالنفاق خصلة أحط منها وألأم بالقياس إلى سائر الخصال الذمية في الإنسان . .

لهذا كله كان المنافق أشد عذاباً ، بل منزلته في جهنم في الدرك الأسفل منها ، قال تعالى : ﴿ **إن المنافقين في الدرك**

---

(١) سورة البقرة : ١٤ ـ ١٦ .

الأسفل من النار ولن تجد لهم نصيراً ﴾(١) .

ولكي نحيط ببحث النفاق من جميع جوانبه يحسن أن نصنف النفاق إلى ثلاثة أصناف :

الصنف الأول : النفاق عند اليهود .

الصنف الثاني : النفاق عند أصحاب العقائد الباطنية .

الصنف الثالث : النفاق عند أصحاب المطامع الخسيسة .

وسنتكلم عن كل صنف من هذه الأصناف الثلاثة بشيء من التفصيل :

١ ـ النفاق عند اليهود :

ثبت تاريخياً بشكل لا يحتمل الجدل والشكّ أن اليهود هم الذين ابتدعوا فكرة النفاق قبل الإسلام وبعده ، ذلك الخلق الذميم الذي مردوا عليه منذ وجودهم في الأرض .

وإلى هذه الحقيقة أشارت الآية الكريمة من سورة التوبة :

﴿ وممّن حولكم من الأعراب منافقون ومن أهل المدينة مردوا على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم . . ﴾(٢) .

---

(١) سورة النساء : آية ١٤٥ .

(٢) آية : ١٠١ .

فاليهود هم ممن سكنوا المدينة ، وهم الذين مردوا على النفاق ونشأوا عليه ورضعوه وتوارثوه كابراً عن كابر .

ومن الأمور المجمع عليها لدى الباحثين في علم الأجناس والأديان والأمم . . أن حاخامات اليهود ، وكبار رجال دينهم أوعزوا ـ لشدة مكرهم ـ إلى كثير من أشياعهم في مختلف الأقطار وعلى مراحل متفاوتة من العصور أن يذوبوا في المجتمعات التي يعيشون فيها أقلّيةً مستضعفة ، وأن يتظاهروا بالدخول في أديانهم بقصد الإساءة إليها وتحريفها وتغيير خط سيرها . . بحيث تخدم مصالحهم ، وتحقق أهدافهم . . في الوقت الذي يأمنون فيه على أنفسهم من مضايقة خصومهم ، ويكونون فيه في مركز يوفّر لهم الأمن وأسباب الفتنة ، وتسديد الضربة من داخل عدوّهم دون أن يتنبّه لأمرهم أحد !! .

ومن المجتمعات التي ذابوا فيها ، ونفّذَوا فيها مخططهم وخدموا مصالحهم (مجتمع الفرس) حيث انتحل كثير من اليهود دين المجوسية حتى صاروا من كبار كهنتها . . وتمكنوا أن يحرّضوا ملوك فارس على ملوك الأرض ، وأن يؤلّبوا المجوسية على المسيحية . . وهكذا يفعلون !! .

ومن تلك المجتمعات (المجتمعات الوثنية)في أوروبة ، حيث ذاب فيها كثير من اليهود حتى صاروا أعظم حماسة للوثنية من الوثنيين أنفسهم وتوصلوا إلى أعلى المراتب في الحكومات المتعاقبة . . مما أتاح لهم أن يكونوا ملوكاً مثل « نيرون » ، وسهل عليهم أن يحرّضوا الشعوب الوثنية على حرب المسيحية !! .

ومن تلك المجتمعات (المجتمعات المسيحية) في أوروبة وغيرها . . وذلك حين اعتناق الأمبراطور « قسطنطين » المسيحية ، فانخرطوا في المسيحية وذابوا في مجتمعها حتى تمكّنوا أن يحصلوا على مراتب الكهنوت ، فتمكنوا بذلك من خَلْق المذاهب المتناحرة ، وإيجاد الفرق الكثيرة المتشاجرة . . بعد أن تمكّنوا قبل ذلك من تحريف الإنجيل نفسه ، وتلاعبوا بتفسيره بشكل يخدم أهواءهم ومصالحهم ، ويتمشّى مع مخططهم السّري في سحق المسيحية والقضاء عليها .

فكان من نتيجة ذلك أن اشتعلت نيران الحروب بين الطوائف المسيحية ، والتهمت هذه النيران من أبنائها مالا يحصى عدده دون أن يتأثر يهودي منافق واحد !! .

وبذلك تمّ لهم ما أرادوا حيث استهلكوا المسيحيين بالمسيحيين ، كما استهلكوا المسيحيين بالمجوس والوثنيين !! . . .

ومما يؤكده كثير من المراقبين للأحداث ، والمتتبعين للتاريخ . . أن المنافقين من اليهود اعتلوا عرش البابوية أكثر من مرة ، وجعلوا الآخرين الذين تحت إمرتهم دمى يحركونهم بأيديهم ، ويسوقونهم لخدمة المسيحية في الظاهر ، ولخدمة المصالح اليهودية في حقيقة الأمر ، وواقع الحال !! .

ومما يؤكد هذا أن المكر اليهودي بلغ أوج النفاق والخديعة ، حين أمكن أن يصدر « البابا » فتوى يبريء فيها ساحة اليهود من دم المسيح ، مكذباً بذلك جميع الأناجيل ، والأجيال ، والبابوات . . على مدى عشرين قرناً من الزمن !! .

وتمكن النفاق اليهودي انطلاقا من هذه المراكز الحساسة التي تسلمها أن يتزعم حركة الإصلاح الديني ضد الكنيسة الكاثوليكية من جهة ، وحركة فصل الدين عن الدولة من جهة أخرى !! . . فهوت الكنيسة صريعة تحت أقدام الثورة الفرنسية الماسونية اليهودية، ولم يبق منها سوى هياكلها الخاوية، وانقطعت

صلتها بالدولة وبالناس . . ومضى الزمن الذي كانت تتلاعب فيه الكنيسة بالملوك والأمراء ، وتحركهم كأحجار ـ متى شاءت ـ على رقعة الشطرنج !! ؟

أما النفاق الذي تجلّى في اليهود بعد ظهور الإسلام :

فهو أدهى وأمر . . وذلك حين تمكن الإسلام العظيم أن يفرض الجلاء على اليهود عن الجزيرة العربية مهبط رسالة الإسلام ، لخياناتهم المستمرة ، ومؤامراتهم المتكررة . .

ومثّلوا ـ لعنهم الله ـ نفس الأدوار التاريخية التي مثلوها من قبل عبر العصور : من إثارة الفتن ، وتكوين الفرق ، واختراع الأراجيف ، وتدبير المؤامرات السرّية ، وأشعال نيران الحروب . . . .

باستثناء التلاعب في كتاب الله عز وجل ، فإنهم ـ مهما حاولوا ـ لا يستطيعون أن يحرّفوا منه حرفاً واحداً ولو اجتمعوا له ، ذلك لأن الله سبحانه تكفّل حفظه إلى يوم الدين ، فهو القائل : ﴿ **إنّا نحن نزّلنا الذكر وإنا له لحافظون** ﴾ [1] .

---

(١) سورة الحجر : آية ٩ .

ولقد كان إبليس المنافقين من اليهود اليهودي اليمني الصنعاني « عبد الله بن سبأ » الملقب ابن السوداء ، فهو الذي اخترع فكرة التشيّع لعليّ كرم الله وجهه ولآله من بعده ؛ وهو الذي نسب الألوهيّة إلى شخص علي بادعائه أن روح الإله حلّتْ فيه ؛ ولما قتل علي أشاع ابن سبأ في الناس : « إن عليّاً لم يقتل ، وإنما رُفع إلى السماء كما رُفع عيسى عليه السلام ، وإنه سينزل إلى الدنيا وينتقم من أعدائه . . » .

وابن سبأ هذا هو الذي وسوس لخاصته « أن عليّاً يجري في السحاب ، وأن الرعد صوته ، وأن البرق سوطه » حتى صار السبئي إذا سمع صوت الرعد قال : عليك السلام يا أمير المؤمنين .

وهو الذي زرع بذور الفرقة وتعدّد الفرق ، وإثارة النعرات العصبية الجاهلية في المجتمع الإسلامي .

وهو الذي دبّر مقتل عمر رضي الله عنه بالاشتراك مع الحاقدين على الإسلام من غير اليهود ، ونفّذها عبد مجوسي يقال له « أبو لؤلؤة » .

وهو الذي أشعل نار الفتنة في عهد عثمان رضي الله عنه ، ومازال يذكيها وينفخ في أتونها المستعر حتى انتهت الكارثة بمحاصرته في داره ، ثم استشهاده رضي الله عنه .

وهو الذي أذكى روح التمرد في الخوارج حتى انتهت الفتنة بمقتل عليّ رضي الله عنه !! .

ولم يكن الدافع لابن سبأ إلى كل هذه الدسائس والكيد والفتن . . إلا حقده على الإسلام ورسول الإسلام ورغبته بتنفيذ حلقة من سلسلة مكايد اليهود على المسلمين ، بل على الأديان كلّها ، وعلى جميع أمم الأرض عدا ملّة اليهود ، وأمّة اليهود !! .

أما « ميمون القدّاح اليهودي الكوفي :

فلم يكن أقل كيداً وفتنة ودسّاً على الإسلام والمسلمين من « عبد الله بن سبأ » ؛ فقد ظهر هذا اليهودي اللعين في الكوفة سنة /٢٧٩هـ ، فتظاهر بالإسلام نفاقاً ، لينصب للمسلمين الحبائل ، ويدسّ في صفوفهم الدسائس . .

فهو الذي ابتدع فكرة أن للنصوص الشرعية من قرآن وسنة ، ظاهراً وباطناً ، وصار يزعم للمنخدعين به أن هذه التفسيرات والتأويلات التي ابتدعها وأظهر رموزها هي المعاني الباطنية لهذه النصوص ، وباستطاعته تحت هذا الشعار أن يتلاعب بتفسير الآيات والأحاديث كما يشاء له هوىالتضليل في مبادىء العقيدة ، وأحكام الإسلام . . .

وهو الذي اتخذ للحركة اليهودية المقنّعة أسلوباً جديداً لاجتثاث الإسلام من جذوره ؛ إذ اتسمت هذه الحركة بسمات المنظمات السرّية المزوّدة بأدهى وأمرّ أشكال التنظيم السرّي ، وأخذت هذه المنظمات تزداد دقة وعمقاً وحذراً . . في أطوار متعدّدة ، وأشكال متنوّعة ، متّحدة الأهداف والغايات . . وقد تعددت فرقُها وأسماؤها ؛ بل استطاع دعاتها أن يصلوا بأتباعهم إلى الإلحاد بالله ، والملائكة ، والكتب ، والرسل ، واليوم الآخر . . . وإلى اعتقاد سقوط جميع الفرائض الإسلامية والتكاليف الشرعية مع استباحة جميع المحرمات ، واستباحة نكاح الأخوات والبنات !! .

وسلك هذا الخبيث مسلك سلفه اليهودي اليمني « عبد الله بن سبأ » في الخبث والمكر ، والتضليل والهدم . . ولم يكن ميمون ، وابن سبأ وحدهما في تدبير هذا التآمر الحاقد ، بل اشترك في هذه المهمة دهاقنة اليهود وأبالستهم في كل زمان ومكان حيث اتخذوا النفاق ستاراً لدعوتهم الهدامة ، والتستّر بالإسلام مظهراً لمكرهم الخبيث !! . .

وإليكم أهم الأحداث والفتن التي قام على تدبيرها اليهود خلال العصور :

أ ـ **ففي أوائل القرن الأول للهجرة** تم اغتيال الخليفة الثاني ثم الثالث ثم الرابع من الخلفاء الراشدين ؛ وفي هذه العهود نثر المنافق اليهودي « عبد الله بن سبأ » بذور الفتن الأهلية ، والفرق المذهبية . . وكوّن أول فرقة باطنية تحت ستار التشيّع لآل البيت كذباً وزوراً ، وآل البيت رضي الله عنهم براء منه ومن أتباعه . . ثم تتابعت الفرق بعدها لتقوم بمهمتها في التضليل ، والهدم ، واستئصال عقيدة الإسلام !! .

ب ـ **وفي أواخر القرن الثالث للهجرة** شقت المنظمات الباطنية طريقها ، وتعددت فرقها في المجتمعات الإسلامية على

يد المنافق اليهودي الثاني المضلّل « ميمون القداح » حيث استطاعت أن تؤثر على السذّج البسطاء من المسلمين ، فاعتقدوا مذهبهم ، وداروا في فلكهم فدخلوا في الكفر بعد الإسلام!! .

ح - **وفي القرن الخامس الهجري** حكمت العراق وبلاد فارس دولة باطنية عرفت باسم الدولة البويهية ، فعظم شأن اليهود في عهدهم ، واشتدّ خطرهم على المسلمين ، وتسلّطوا على مقدّراتهم المالية والسياسية لدرجة دفعت الشعب المغلوب على أمره أن يثور على السلطة الحاكمة في العراق ، وأن يُحرّق منازل الشيعة الباطنية واليهود سواء بسواء عام /٤٢٢/ هـ .

د - **وفي القرن السابع الهجري** كان للباطنية (صنائع اليهود) العامل الأكبر في سقوط بغداد على يد « هولاكو » ملك التتار بسبب خيانة الوزير الباطني « ابن العلقمي » ضد سيده « المستعصم بالله » آخر خلفاء بني العباس ؛ وسبق أن ذكرنا أن اليهود والنصارى كانوا ممن كاتبوا التتار لغزو عاصمة الخلافة (بغداد) ، وممن دلّوا على عورات المدينة ، وشاركوا مشاركة فعلية في هذه الكارثة ، واستقبلوا التتار الوثنيين بالترحاب ، ليستأصلوا المسلمين الذين أعطوهم ذمتهم ، ووفّروا لهم الأمن

والحماية !! . .

ومأساة سقوط بغداد ـ كما مر ـ أعظم من أن يحيط بها وصف أو يصوّرها مؤرّخ . . حتى ظن الكثير من الناس عند وقوع الكارثة أنه قد اقترب يوم الحساب !! .

هـ ـ **وفي القرن الثامن الهجري** كان بعض ملوك التتار قد أسلموا ، وبعضهم قد اعتنق المذهب الباطني ومن هؤلاء الباطنيين « غياث الدين محمد » ، فقد كان أشدّ على المسلمين من أجداده الحاقدين . . فتحالف مع الصليبيين واليهود ضد المسلمين ؛ وفي عهده اعتلى اليهود في بغداد والموصل . . أرفع المناصب ؛ بل كانت بيدهم أوسع الصلاحيات . . يقهرون المسلمين بكل وسيلة ، وقد عمل « غياث الدين » المذكور تحالفاً مع البابا ، وملوك إنكلترا وفرنسا لحرب المسلمين من أهل السنة والجماعة . .

فلما تولى الحكم من بعده ابنه « أبو سعيد بهادر خان » عام / ٧١٦ /هـ ، وكان على مذهب أهل السنة والجماعة ، قطع علاقاته مع الصليبيين ، وضيّق على اليهود ، وعزلهم عن

مناصبهم ، وألزم جميع أهل الكتاب بلباس خاص يميّزهم عن المسلمين : وفي عهده تنفّس المسلمون الصعداء ، وتمتعوا بظلال الأمن . . ولكن فرحتهم لم تكتمل حيث اغتيل « أبو سعيد » بتدبير من اليهود عام / ٧٣٦ /هـ رحمه الله وأجزل مثوبته .

و - وفي القرن العاشر الهجري ، كان للباطنية دولة باسم الدولة الصفوية ، وكان لليهود فيها المركز المرموق ، والصلاحيات الواسعة . . فاستغلّوا مناصبهم أحسن استغلال ، وحرّضوا الصفويين على شنّ الحرب ضد الدولة العثمانية (السنية) ، ورتّبوا أمر الاستعانة بالبرتغاليين الذين أصبحت لهم السيادة على الخليج العربي ، واحتلّوا جزيرة « هرمز » ، وكان ذلك في عهد إسماعيل الأول عام / ٩٣٠ / هـ .

ز - وفي القرن الرابع عشر الهجري ، تمت الكارثة الكبرى ضد نظام الخلافة الإسلامية على يد العميل الخائن اليهودي « أتاتورك » وكان ذلك عام / ١٩٢٤ / م .

وعلى أعقاب ذلك أعلن هذا الخائن علمانيّة الدولة ، فألغى المحاكم الشرعية ، والمدارس الإسلامية ، والأوقاف وأحكام

الميراث ، وجعل الأذان باللغة التركية ، واستبدل الحروف العربية بالحروف اللاتينية ، وعطلة يوم الجمعة بالأحد ؛ وغيّر لباس الرأس الإسلامي بالقبعة الأجنبية ، والزيّ العام المتميز بالإفرنجي ، وانتهى ذلك كله عام / ١٩٢٨ / م !! .

هذا غيض من فيض . . مما فعله المنافقون اليهود وأشياعهم وصنائعهم ضد الإسلام والمسلمين عبر التاريخ على مدى أكثر من ألف من السنين ، متسترين بالانتساب إلى الإسلام زوراً وبهتاناً ، ومبطنين الكفر والإلحاد إيماناً واعتقاداً . . همهم الأكبز نشر الفساد ، وإذلال العباد ، وتخريب البلاد . . حتى يتم لليهود الظفر على شعوب الأرض ، وحتى يصلوا إلى تنفيذ مخططهم الأكبر « حدودك يا إسرائيل من الفرات إلى النيل » . . وقد وصلوا في هذا العصر الذي نحن فيه إلى تنفيذ بعض مخططهم الرهيب في إقامة الدولة ، واحتلال المسجد الأقصى ، وامتداد سلطانهم يوماً بعد يوم !! .

ولكن هل ستحبط الأجيال المؤمنة المرتقبة هذا الاستعمار اليهودي . . ، وتحرر المسجد الأقصى من احتلال يهود ، وأرض فلسطين من استعمار إسرائيل ؟

بشائر الوعي واليقظة تدلل على أن جيل الإسلام بدأ يتحرك وينطلق في ميدان الجهاد لإعلاء كلمة الله حتى النصر أو الشهادة وقد عاهد الله عز وجل على أن يتتبع الخونة والعملاء والمندسين في كل مكان ، ثم يمضي قدماً ليحرر الأرض المقدسة من رجس اليهود ، ثم يقيم دولة الإسلام في مجتمعات الإسلام ، وبذلك يكون قد استعاد للمسلمين عزتهم المنيعة ، وكرامتهم المنشودة ، ومجدهم السامي المشرق تحت الشمس . . وعندئذ يفرح المؤمنون بنصر الله !! .

٢ ـ النفاق عند أصحاب العقائد الباطنية :

منذ فجر التاريخ الإسلامي تسلّل إلى التشيّع ـ بتدبيرات يهودية ـ فئات منافقة تظاهرت بالتشيّع لآل البيت ، ولكنها في الواقع وبنفس الأمر جراثيم فتاكة في جسم المجتمع الإسلامي ، كل غايتها دسّ المبادىء الضالة ، والأفكار الهدامة في معتقدات المسلمين ، وكلّ همّها تقويض صرح الإسلام الشامخ الكبير ، والإتيان عليه من القواعد ، وكل وجهتها تشكيك المسلمين بدينهم والسير بالجيل المسلم نحو كفر بواح ، وردّة فاضحة !! .

ونتج عن هذا وجود فرقة باطنية خارجة عن الإسلام

تغالت في التعصب لآل البيت النبوي رضوان الله عليهم وزعمت محبتهم مما أدى بها إلى تنكب طريق الإسلام واعتناق مبادىء وعقائد وثنية خليط من عقائد عدة أديان كالبوذية والهندوكية والنصرانية وغيرها من الأديان الضالة وألّهت بعض أهل البيت ـ حاشاهم من ذلك ـ وبعض من ينتسبون إليهم كذباً وزوراً فكانت أخطر على الإسلام والمسلمين من الوثنية التي تعبد الحجارة الصم .

ـ ومنها من تقول : بالدهرية ، وأساسها : إنكار الخالق ، ونبذ الأديان ، وترك العبادات ، واستباحة المحرمات .

ومنها . . ومنها . . . . .

« وتتلخص عقائد الباطنية : تأليه البشر ، الإباحية المطلقة ، استباحة المحرمات ، ترك العبادات ، إنكار الشرائع ، شيوعية المال ، شيوعية النساء ، تناسخ الأرواح عصمة الأئمة ، قلب الحقائق ، تأويل النصوص . . » .

إلى غير ذلك من هذه المعتقدات الكافرة ، والمبادىء الضالة التي تأصلت في كثير من الفرق والملل .

وقد بلغ التظاهر بالنفاق أَوْجَه فى الصدر الأول فى عصر الخلفاء الراشدين وما بعده ، وكان يتكيّف مع المظهر الملائم ، ويتّجه الاتجاه المناسب لهدم الإسلام من القواعد ، واستئصال شأفته من الوجود .

وأحياناً يعمل النفاق الباطني بالخفاء إن رأى المسلمين في قوة ، والإسلام في عزة . . وأحياناً يجاهر بالعداء إن وجد الثغرة مفتوحة ، والفرصة مواتية . . وأحياناً يتقمّص ثوب الغَيْرة على الدين لبثّ الفوضى وإشعال نيران الفتنة . . وأحياناً ينحاز إلى جماعة دون جماعة تصطرع المطامع والأهواء . .

وفي كثير من الأحيان ينضم تحت لواء الشعارات والمبادىء . . ينادي بها ويدعو إليها ليصل إلى الهدف السيء ، والغرض الخبيث . .

وهكذا يتكون نفاق الباطنية مع كل فئة ، ويتكيف مع كل بيئة ، ويلبس ثوب كل ملة . . ليصل - إن استطاع - إلى الهدف الأكبر في تقويض دعائم الإسلام ، واستئصال شأفة المسلمين !! .

فإن استطاعت هذه الفرق الهدامة عبر التاريخ وخلال العصور أن تشعل نيران الفتنة ، وأن تبث في المجتمعات الإسلامية روح الفوضى والاضطراب ، وأن توقف في فترة من الوقت امتداد الزحف الإسلامي في العالم ، وأن تحيك المؤمرات في الخفاء وتحت جنح الظلام لانحسار تقدم المسلمين ، وأن تزرع في بلاد الإسلام بذور الحزبية والباطنية والطائفيـة ، وأن تؤثر على بعض من في قلوبهم مرض من المسلمين فكرياً وعقائدياً وخلقياً ..

فإن استطاع النفاق الباطني أن يفعل في المسلمين كل هذا ؛ فإن شيئاً واحداً ما استطاع أن يفعله ألا وهو تحريف القرآن الكريم ، وتبديل معالم الشريعة ؟ ! ذلك لأن الله سبحانه قد تكفل حفظ دينه وقرآنه إلى يوم البعث والنشور : ﴿ **إنّا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون** ﴾ (١).

وها هو ذا قد مضى على ظهور الشريعة ، ونزول القرآن الكريم . . ما ينيف على أربعة عشر قرناً ؛ وكم وجد في المجتمعات الإسلامية على تطاول العصور ملاحدة وزنادقة

---

(١) سورة الحجر : آية ٩ .

وباطنيون ؟ .

هل استطاع أحد من مردة الإلحاد ، أو أبالسة الباطنية . . أن ينال من القرآن الكريم بتحريف أو تبديل أو يمس الشريعة الإسلامية بزيادة أو نقصان ؟ !

وإذا كانت الشريعة الإسلامية باقية على أصالتها إلى قيام الساعة ، وإذا كان القرآن الكريم محفوظاً بحفظ الله إياه إلى أبد الآبدين . . فأمة الإسلام مهما أصابها من هوان ، ومزقها من تسلط ، وانتابها من أحداث لا يمكن أن تبقى على حالتها الراهنة ، وترضى بواقعها الأليم . . بل لابد أن تتفهم يوماً من الأيام حقيقة هذا القرآن ، وأن تتدبر مبادىء هذا الدين . . لتنهض بالإسلام من جديد ، وتستعيد مكانتها المرموقة تحت الشمس !! .

وهذا ما أثبته التاريخ خلال العصور ، فالمسلمون بعد تسلط الصليبية ومحنة المغول والتتار . . على أرضهم وبلادهم عادوا إلى القوة والوحدة والعزة . . وهم أصلب عوداً وأثبت جناناً ، وأعظم اندفاعا وحماسة . . وما ذاك إلا بالرجوع إلى مبادىء الإسلام الباقية ، واستلهام نظام القرآن الخالد . . .

واليوم تلمع في أفق الإسلام بوارق الأمل في استعادة الجيل المسلم كرامة الإسلام ، ومجد المسلمين تحت راية القرآن الخالد ، وتحت حكم الإسلام الحنيف . .

وما ذلك على الله بعزيز .

☆ ☆ ☆

٣ ـ النفاق عند أصحاب المطامع الخسيسة :

ومن ألوان النفاق المعلومة نفاق أصحاب المطامع والأهواء لغاية يأملونها في نفوسهم ولو كانت على حساب العقيدة ، وانتهاك حرمة الإسلام .

وهذا اللون من النفاق نصنفه إلى صنفين :

الأول : صنف المفسدين .

الثاني : صنف الموالين .

● وأقصد بصنف المفسدين :

جماعة من الناس تظاهرت بالإسلام قولاً ، وأبطنت الكفر اعتقاداً ، لتصل إلى غايتها في المجد والسيادة ، أو تخشى أن تصيبها من المسلمين دائرة أو تعمل في خفاء لزرع البلبلة والفتنة ، . . وذلك في وقت تكون العزة فيه للإسلام ، والدولة والقوة والمنعة للمسلمين .

ومثال هذه الجماعة فئة « عبد الله بن أبي بن سلول » رأس النفاق في عصر النبي ﷺ ،

وملابسة نفاق هذه الفئة:أن النبي ﷺ لما هاجر إلى المدينة المنورة كان أهلها على وشك المناداة بابن أبي سلول ملكاً عليهم فتغير مجرى الحوادث على غير ما يأمل به ابن سلول من مطامع الملك والجاه ودخل أهل المدينة في الدين الجديد بنفوس رضية ، وإقبال منقطع النظير ، وحين رأى ابن سلول أن العز سيفلت منه ، وأن الرئاسة ستنفصم عنه ، أقام بعض الوقت مع طائفة من أصحابه يقلبون الأمور ، ويراقبون الأحداث . . وأخيراً اتفقت كلمتهم على أن يدخلوا في الإسلام ظاهراً وتبقي قلوبهم جاحدة منكرة ، مخافة ـ إن تظاهروا بالكفر ـ أن تعلو رقابهم السيوف المؤمنة ، وقد سلكوا هذا المسلك ليقوموا بمهمة « الطابور الخامس » لليهود ومشركي العرب في الجزيرة العربية . . حتى إذا سنحت الظروف المواتية للعداء الجاهر المكشوف كشفوا برقعهم المزيف الخادع عن وجوههم الوقحة وانقضّوا على المسلمين يحاربونهم ويحاولون استئصالهم .

فالدافع إلى هذا النفاق الآثم المتآمر هو جاه الملك ، وعظمة السلطان ، فالدافع إذن خسيس دنيء !! .

وما أعظم تصوير القرآن الكريم لواقعهم الخسيس حين كشف

عن طمعهم الدنيوي ، وغرضهم المادي في التظاهر بالإسلام المزيف والحلف الكاذب !! .

قال تعالى في سورة التوبة : ﴿ **لو كان عرضاً قريباً وسفراً قاصداً لاتبعوك ولكن بَعُدَتْ عليهِمُ الشُّقة وسيحلفون بالله لَوِ استَطَعْنَا لخرجنا معكم يُهلكونَ أنفسَهُمْ والله يعلم إنهم لكاذبون** ﴾[١] .

وما أكثر هذه الفئات في كل زمان ومكان !! . من أجل زعامة زائلة ، أو عرض من الدنيا قليل ينحازون إلى ملة الكفر ، وينخرطون في أحزاب الظلال . . لإعطاء الولاء والطاعة لهؤلاء ، فيكونون معهم يداً بيد لحرب الإسلام وأهله ، والكيد للدين وحزبه .. ولا حول ولا قوة إلا بالله .

● **وأقصد بصنف الموالين :**

فئة من الناس مؤمنة من قرارة وجدانها بعظمة هذا الإسلام ، وأحقية هذا الدين . . ولكن أعطت ولاءها وانقيادها لحزب كافر ، أو جماعة ضالة من أجل جاهٍ رخيص وعرض من

---

(١) آية : ٤٢ .

الدنيا قليل . .

وإذا سألهم أهل الإيمان والتقوى عن سبب انخراطهم في حزبهم ، وانتمائهم إليهم ؟ قالوا : إننا غير مؤمنين بمعتقداتهم ، وغير راضين ضلالهم . . أكثر ما هنالك أننا في انتسابنا إليهم ندفع الشر عن المسلمين ما أمكن ، ونحول تيار الإلحاد والفساد عن ديار الإسلام ما استطعنا لذلك سبيلاً .

وإذا قيل لهم : ماذا دفعتم ؟ وماذا حوّلتم ؟ وماذا حققتم ؟ والفساد في العباد ينتشر على أيديهم شيئاً فشيئاً ، والإلحاد في البلاد يستشري بانتمائكم إليهم رويداً رويداً ، ومخططات اللا اللادينية في المجتمعات الإسلامية تنفّذ بسيطرتهم يوماً بعد يوم !! .

فحينما يخرجون بمثل هذه الحجج الدامغة . . فلا يجدون بدأً سوى أن يقولوا : إننا في الحقيقة دخلنا معهم من أجل مصالح شخصية ، ودفع أذى يصيبنا منهم ليس إلّا . .

فالدافع من هذه المنافقة إذن هو في الحقيقة من أجل مطمع المال والجاه والوظيفة . . فالدافع إذن خسيس دنىء !! .

وما أعظم تصوير القرآن الكريم لواقعهم الخسيس حين وصف قلوبهم بالمرض ، ونفوسهم بالهلع حين قال في سورة المائدة : **﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم إن الله لا يهدي القوم الظالمين * فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده فيصبحوا على ما أسروا في أنفسهم نادمين ﴾**[1] .

☆ ☆ ☆

(١) آية : ٥١ ، ٥٢ .

ما هي أهم المهمات التي يقوم بها المنافقون في المجتمع المسلم ؟ :

أرى أن مهمة [١] النفاق تتركز في الأمور التالية :

أ ـ إضعاف شأن المسلمين في الحروب :

فالمنافقون في عصر النبي ﷺ كانوا أقدر من غيرهم في هذه المهمة ، فقد دخلوا في الإسلام نفاقا ، وأتقنوا دورهم في إظهار الإخلاص للنبي ﷺ ، حتى إن عمر رضي الله عنه لم يعرف عن أكثرهم إلا الصلاح والورع !! .

فمن مواقفهم المشينة في هذه السبيل : القعود عن الخروج للقتال حين يدعو داعي الجهاد ، أو الاستئذان في هذا القعود ، فإذا رآهم الناس قاعدين اقتدوا بهم ، وأدركهم شيء من الفتور والتثاقل ، فيقعد من يقعد ، ويخرج للقتال من يخالفهم من المؤمنين !! .

وكان بعض المنافقين يخرج ولكنه يعود من الطريق ،

---

(١) من كتاب « تذكرة الدعاة » للأستاذ الخولي مع بعض التصرف .

ويقول : « علام نقتل أنفسنا ؟ » ، فإذا رجع رجعت معهم طائفة كبيرة من الجيش كما حصل يوم أحد .

فإذا خرجوا ولم يرجعوا من الطريق سعوا بالفتنة ، وبثوا روح التخاذل والتفرقة في الجيش كما حصل في غزوة تبوك إذ قال بعضهم : « يظن هذا ـ يعني الرسول ـ أنه يفتح قصور الروم وحصونها ؟ هيهات ، هيهات !! . » .

ويقول آخر : « أتحسبون جِلاد بني الأصفر ـ أي الروم ـ كقتال العرب بعضهم بعضاً ، والله لكأنكم غداً مقرَّنون في الحبال ؟ » .

وقد كشف القرآن الكريم عن هذه المهمة الخسيسة للنفاق حين قال : ﴿ **لو خرجوا فيكم ما زادوكم إلا خبالاً[١] ولأوضعوا خلالكم[٢] يبغونكم الفتنة وفيكم سمّاعون لهم ..** ﴾[٣] .

ب ـ الإيقاع بين المسلمين وإثارة الفتن :

كان المنافقون في عهد النبي ﷺ ينتهزون كل فرصة سانحة .

---

(١) خبالاً : تخذيلاً .
(٢) أوضعوا خلالكم : مشوا بالفتنة والفساد .
(٣) التوبة : ٤٧ .

للإيقاع بين المسلمين وإثارة الفتن بين صفوفهم .

وإليكم نموذجاً من إثارتهم الفتنة :

في غزوة بني المصطلق تدافع غلامان على الماء :

أحدهما لرجل من المهاجرين، والآخر لرجل من الأنصار، فصاح المهاجري: ياللمهاجرين!! وصاح الأنصاري ياللأنصار!! وسمعها «عبد الله بن أبي» رئيس المنافقين، فلم يتركها تمر دون أن يستغلها في الوقيعة التي يريد.. فقال: ثاورونا!! والله ما مثلنا ـ وجلابيب قريش هذه ـ إلاّ كما قال القائل: «سمّنْ كلبك يأكلك» ثم أقبل على من في مجلسه وقال: هذا ما فعلتم بأنفسكم أحللتموهم بلادكم، وقاسمتموهم أموالكم، أما والله لو كففتم عنهم لتحولوا عنكم من بلادكم إلى غيرها، والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل!!.

وأرادها ابن أبي سلول فتنة، ولكن الله أحبط كيده، وسلط عليه أقرب الناس إليه ، سلط عليه ولده « عبد الله » المؤمن الصادق . . فلما سمع ما قال أبوه قال له : « رسول الله هو

العزيز ، وأنت الذليل » واستأذن النبي ﷺ أن يأتي له برأسه ، فنهاه النبي عليه الصلاة والسلام عن ذلك ، وقال : بل نرفق به ونحسن إليه ما بقي فينا !! .

ج - اختراع الأراجيف والغض من جلال الرسالة :

فقد اخترع المنافقون في عهد النبي ﷺ حديث الإفك وهو (اتهام أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها - زوراً وبهتاناً - بالفاحشة) ، وهو ضربة موجهة للإسلام بطريق غير مباشر ، لأنه شك الناس في عرض أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وعرض أبيها ، وعرض العائلة . . شكوا في النبي ﷺ الذي كان في زعمهم الباطل معاشراً لامرأة قد فعلت الفاحشة .

هذا الشك من شأنه أن يضعف الحماسة لرسول الله ﷺ ، والدخول في دينه .

- وكانوا يقولون عن النبي ﷺ إنه أذن (أي إنه يصدق كل شيء دون تحقق) .

- وكانوا يهزؤون بالمطوعين من المؤمنين في الصدقات ، فمن أعطى كثيراً رموه بالرياء ، ومن أعطى قليلاً لأنه لا يجد إلا

جهده رموه بالبخل وسخروا منه . .

ـ وكانوا ينتقصون أتقياء المؤمنين في سخرية وتهكم . . قال رجل من المنافقين في حق جماعة من صلحاء القراء : ما أرى قراءنا هؤلاء إلا أرغبنا بطوناً ، وأكذبنا ألسنة ، وأجبننا عند اللقاء ، فلما علم النبي ﷺ بهذا غضب ، وجاء الرجل المنافق يعتذر ويقول : إنما نخوض ونلعب . . . !! .

وهكذا كانوا يخترعون الأراجيف للغض من جلال الرسالة ، والتهوين من شأن الإسلام ، والانتقاص من أتقياء المؤمنين . . فإذا سئلوا عن هذا الإجرام : اعتذروا ، وأنكروا ، وأقسموا أنهم لم يقولوا ولم يفعلوا !! .

د ـ تدبير الاتصالات السرية :

هذه الاتصالات كثيرة مبثوثة في كتب التفسير والسيرة نذكر منها على سبيل المثال : ما كان من منافقي رهط أبي عامر الراهب ، فقد سافر هذا الرجل إلى ملك الروم يستنصره على النبي ﷺ ، فوعده ملك الروم ومنّاه ، وأقام عنده ، وكتب « أبو عامر » إلى جماعته من أهل النفاق يعدهم ويمنيهم أنه سيقدم

عليهم بجيش يقاتل به رسول الله ﷺ ، ويغلبه ، ويرده عما هو فيه ، وأمرهم أن يتخذوا له معقلاً منعزلاً ، ليستقبلوا فيه رسل ملك الروم ورسائله ، وليكون مرصداً له إذا قدم عليهم بعد ذلك . . فبنوا لهذا الغرض مسجداً سمي فيما بعد « مسجد الضرار » ، وهو الذي نزل فيه قوله تعالى في سورة التوبة : ﴿ **والذين اتخذوا مسجداً ضراراً وكفراً وتفريقاً بين المؤمنين وإرصاداً لمن حارب الله ورسوله من قبل وليحلفن إن أردنا إلا الحسنى والله يشهد إنهم لكاذبون** ﴾[١] .

وبعد افتضاح أمر المسجد أمر عليه الصلاة والسلام بهدمه وإحراقه .

تلكم أهم المهام التي كان يقوم بها النفاق في عصر النبي ﷺ ، بل في كل العصور عبر التاريخ ، وتقلبات الأيام .

ولا يخفي على كل ذي عقل وبصيرة ، ما للنفاق اليهودي والنفاق الباطني ، والنفاق المصلحي . . من أكبر الأثر في إشعال

---

(١) آية : ١٠٧ .

نار الفتنة بين المسلمين ، وبث روح الزيغ والإلحاد والردة في صفوفهم ، وزرع بذور الحزبية والطائفية والفرقة في أبنائهم ، وتدبير الاتصالات السرية مع أعدائهم ، واختراع الأراجيف والأكاذيب للنيل من نبيهم ، وتقويض دعائم العزة الإسلامية للإطاحة بدولتهم !! .

ويكفي النفاق خزياً وسفهاً ، وخداعاً وفساداً أن يقول الله عز وجل عن المنافقين :

﴿ ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون ﴾ (١) .

﴿ ألا إنهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون ﴾ (٢) .

﴿ استغفر لهم أو لا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم ذلك بأنهم كفروا بالله ورسوله والله لا يهدي القوم الفاسقين ﴾(٣) .. **﴿ ولا تصل على أحد منهم مات أبداً ولا تقم على قبره إنهم**

---

(١) سورة البقرة : ١٢ .

(٢) سورة البقرة : ١٣ .

(٣) سورة التوبة : ٨٠ .

كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون ﴾[١] .

ما هو موقف الإسلام منهم وحكم الشريعة فيهم ؟

سبق أن ذكرنا أنه ليس كالنفاق آفة تحلق المروءة والرجولة ، وليس كالنفاق مهلكة تقضي على العقيدة والإسلام ، وليس كالنفاق خصلة ذميمة تؤثر على الفضيلة والخلق . . ، وليس كالنفاق مفسدة تسبب العداوة والفتنة ، فإذا كان الأمر كذلك فإن الإسلام لم يقف مكتوف اليدين تجاه هذه الفئة الماكرة ، بل يحكم على كل فئة من فئاتها بما تستحقه من معاملة وعقاب .

والآن نبين موقف الإسلام من كل صنف من أصناف المنافقين وعلى الله قصد السبيل :

أولاً ـ موقف الإسلام من النفاق اليهودي :

لكي تظهر للعيان حقيقة الموقف لابد لنا من تقسيم النفاق اليهودي إلى فئتين :

---

(١) سورة التوبة : ٨٤ .

أ ـ فئة المتسترين بالإسلام .

ب ـ فئة المتسترين بالذمة والعهد .

● **أما فئة المتسترين بالإسلام** فإنهم يعاملون كأي مسلم أرتد عن دينه واعتنق ديناً آخر ، يعاملون بهذا إذا ظهرت منهم عقيدة مكفرة ، أو كفر بواح . . أو يعاملون كما يعامل المفسدون في الأرض إذا ظهرت منهم عصابة مجرمة تبغي الإفساد في الأرض .

ومن المعلوم أن عقوبة المرتد في الشريعة القتل لقوله عليه الصلاة والسلام ـ فيما رواه البخاري ـ : « مَنْ بدّل دينه فاقتلوه » .

ومن المعلوم أيضاً أن عقوبة الإفساد في الأرض القتل ، أو قطع اليد والرجل من خلاف ، أو النفي من الأرض ، يعاقبهم الحاكم المسلم على حسب نوع الجريمة لقوله تبارك وتعالى : ﴿ **إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فساداً أن يقتّلوا أو يُصلّبوا أو تقطّع أيديهم وأرجُلُهم**

من خلاف أو يُنْفوا من الأرض ﴾ (١)

● وأما فئة المتسترين بالذمة والعهد

فإنهم يعاملون كذميين معاهدين ما داموا على العهد، وأما إذا خفروا الذمة وخانوا العهد وسببوا الفوضى، وعاثوا في الأرض فساداً ، وأوقدوا في المجتمع الإسلامي نيران الفتنة، فنحِلّ لهم عهدهم ونقاتلهم بحزم، ونستأصلهم بشدة جزاء مكرهم وعدوانهم لقوله تبارك وتعالى في سورة التوبة:﴿ **وإن نكثوا أيْمانهم من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم فقاتلوا أئمة الكفر إنهم لا أيْمان لهم لعلهم ينتهون** ﴾(٢)

ومن هنا كان موقف المسلمين مع يهود بني قريظّ حاسماً حينما خفروا الذمة وخانوا العهد ، وتواطؤوا سراً مع الأحزاب في مكة ، كان الموقف حاسماً حينما نزلوا على حكم « سعد بن معاذ » رضي الله عنه ، فحكم سعد : « أن تقتل رجالهم ، وأن تُسبى

(١) سورة المائدة : ٣٣ .

(٢) آية : ١٢ .

ذريتهم ، وأن تغنم أموالهم » فقال له النبي ﷺ : « قضيت بحكم الله تعالى » .

وقد قُتلوا جميعاً واحداً بعد واحد . . ولما نُفّذ حكم الإعدام في زعيمهم « حيي بن أخطب » ، ويداه مجموعتان إلى عنقه بحبل ، نظر إلى رسول الله ﷺ ثم قال : « أما والله ما لمتُ نفسي في عداوتك ، ولكن مَنْ يَخْذلِ الله يُخْذَل، ثم جلس فضربت عنقُه .

ـ وأحياناً تكون العقوبة جلاء من الأرض كما فعل النبي ﷺ بيهود بني النضير . .

ـ وأحياناً تكون العقوبة بالإعدام فردية لأناس معينين حينما يظهر على المسرح رجال متآمرون على الإسلام وأهله . . ومن هنا كان أمره عليه الصلاة والسلام أصحابه في قتل نفر من اليهود لايذائهم رسول الله ﷺ وتآمرهم على قتله ، وتحريضهم الأعداء على قتاله ، وهجائهم للإسلام وأهله . .

وإليكم بعض النماذج :

فهذا « كعب بن الأشرف » النضيري الذي قتله الصحابي

« محمد بن مسلمة » .

وهذا « أبو رافع » الخيبري الذي قتله الصحابي « عبد الله بن عتيك » .

وهذا « أبو عفك » اليهودي الذي قتله الصحابي « سالم بن عمير » وهذا « أسير بن رزام الخيبري » الذي قتله الصحابي « عبد الله بن أنيس » .

وهذه « عصماء بنت مروان » اليهودية التي قتلها الصحابي « عُمَيْر بن عدي الأعمى » .

وهكذا كانت عقوبة الإسلام قاسية وأليمة في حق كل منافق من اليهود ، خائن للعهد ، خافر للذمة . . لأن اللين مع الحاقدين اللؤماء لا ينفع ، والتسامح مع الأنذال الخبثاء لا يُجْدي . . ورحم الله من قال :

ووضع النّدى في موضع السيف بالعلا
مضرّ كوضع السيف في موضع النّدى

واليهود في الحاضر هم اليهود في الماضي لم يتغير من طبيعة

حقدهم ولؤمهم ومكرهم شيء . . فإذا لم يعاملوا بالحزم ، ويؤخذوا بالشدة . . فإنهم يجرون على الإنسانية بشكل عام ، وعلى المسلمين بشكل خاص . . الويلات والنكبات والثبور وعظائم الأمور !! .

فعلى من يريدون أن يحلوا مشكلة فلسطين ، وأن يحرّروا المسجد الأقصى ، وأن يعيدوا للفلسطينيين حقوقهم المغتصبة وأرضهم السليبة . . فعليهم أن يعرفوا هذه الحقيقة ، حقيقة أن اليهود في مكرهم وخبثهم وحقدهم ومؤامرتهم . . هم اليهود لم يتغير من طبائعهم الخسيسة ، ونفوسهم الخبيثة شيء !! .

وأن الحل العملي للوصول إلى التحرير والنصر هو أن يقدّم المسلمون مهجهم وأرواحهم . . وأن يتحققوا عند خوض المعارك بقول القائل :

ستعلم أمتنـــــــا أننـــــــا
ركبنـــا الخطـــوب هيـــامـــاً بهـــا

فـــإن نحن فُـــزنسا فيـــا طـــالمـــا
تـــــذل الصعـــــاب لطـــلاّبهـــــا

وان نلـــق حتفـــاً فقـــد قـــدّمت
كـــؤوس المنـــــايـــــا لشرّابهـــــا

ثانياً ـ موقف الإسلام من النفاق الباطني :

لا شك أن النفاق الباطني ـ كما مر ـ لا يقل خطراً على الإسلام والمسلمين من النفاق اليهودي ، بل يفوقه في الضلال وتدبير المؤامرات السرية في كثير من الأحيان ، فبعد أن تظهر للعيان حقيقتهم ، وينكشف للمسلمين أمرهم يُحكم عليهم بالكفر والزندقة والإلحاد ، ويؤخذون بالحزم والشدة والاستئصال ، ويعاملون بأحكام خاصة تتعلق بهم !! .

ولنستمع إلى ما يقوله فقهاء الإسلام في شأنهم :

ـ مما نُقل عن علماء المذاهب الأربعة ـ كما ذكر ابن عابدين في حاشيته ـ : (أن هؤلاء الباطنيين ... لا يحل إقرارهم في ديار الإسلام بجزية ولا بغيرها ، ولا تحل مناكحتهم ولا ذبائحهم . . ويصدق عليهم اسم الزنديق والمنافق ، والملحد وأنهم في البلاد الإسلامية يُظهرون الإسلام والصوم والصلاة . . مع أنهم يعتقدون تناسخ الأرواح ، وحلّ الخمر والزنى . . وأن الألوهية تظهر في شخص بعد شخص ، ويجحدون الحشر ، والصوم ، والصلاة ، والحج . . ويقولون : المسمى بها غير المعنى المراد ، ويتكلمون في جناب نبينا محمد ﷺ كلمات فظيعة . . وأنهم ينتحلون عقيدة

(مَنْ يقول بألوهيـة علي ، وألوهيـة الحـاكم بـأمر الله، وألوهيـة أغـا خان) الذين يلقبون بالقرامطة والباطنية..

ولا يخفى أن إقرارهم بالشهادتين مع هذا الاعتقاد الخبيث لا يجعلهم في حكم المرتد [١] . . ولا يصح إسلام أحدهم ظاهراً إلا بشرط التبرّي من جميع ما يخالف دين الإسلام ، لأنهم يدّعون الإسلام ، ويقرّون بالشهادتين ، وبعد الظفر بهم لا تقبل توبتهم أصلاً وعند بعض العلماء لا تقبل توبتهم حتى لو أُخذوا بعد التوبة ..)[٢] .

- ومن فتوى طويلة « لابن تيمية » رحمة الله في طوائف باطنية في البلاد الإسلامية قوله :

(وأما استخدام مثل هؤلاء (أي الباطنيين) في ثغور المسلمين أو حصونهم ، أو جندهم ، فإنه من الكبائر ، وهو بمنزلة من يستخدم الذئاب لرعي الغنم ، فإنهم من أغشّ الناس للمسلمين ولولاة أمورهم ، وهم أحرص الناس على فساد المملكة

---

(١) لا يجعلهم في حكم المرتد لأن الردة كفر ظاهري يجري على اللسان ، أما إقرارهم بالشهادتين مع اعتقادهم الخبيث فهو كفر باطني متأصل ، وهذا هو النفاق بعينه .

(٢) ارجع إلى حاشية ابن عابدين ج ٣ ص :٢٩٨ تجد فيه البحث وافياً . .

والدولة . . وهم أحرص الناس على تسليم الحصون إلى عدو المسلمين ، وعلى إفساد الجند على وليّ الأمر ، وإخراجهم عن طاعته ، ويحلّ لولاة الأمر قطعهم من دواوين المقاتلة ، فلا يتركون في ثغر ولا غير ثغر ، فإن ضررهم في الثغر أشد . . ولا يجوز له تأخير الواجب مع القدرة عليه) .

وفي قضية توبتهم يقول ابن تيمية :

(.. لكن دماءهم وأموالهم مباحة ، وإذا أظهروا التوبة ففي قبولها منهم نزاع بين العلماء ، فلا يتركون مجتمعين ، ولا يمكّنون من حمل السلاح وأن يكونوا مع المقاتلة ، ويلزمون شرائع الإسلام من الصلوات الخمس ، وقراءة القرآن ، ويترك بينهم مَنْ يعلمهم دين الإسلام ، ويُحال بينهم وبين معلّميهم (أي رجال الدين فيهم) ، ومن كان من أئمة ضلالهم وأظهر التوبة أُخْرج عنهم وسُيِّر إلى بلاد المسلمين التي ليس لهم بها ظهور ، فإما أن يهديه الله تعالى ، وإما أن يموت على نفاقه من غير مضرة للمسلمين ..)[١] .

---

(١) من رسالة « لابن تيمية » يبين فيها حكم الإسلام في طوائف معينة منتشرة في بلاد الشام .

وللحقيقة أقول :

إن أولاد هؤلاء الباطنيين الذين تتراوح أعمارهم من عشر سنوات إلى ما بعد سن البلوغ ، إذا تيسر لهم صحبة صالحة مؤمنة ، أو جماعة مسلمة واعية . . تعرفهم حقيقة الإسلام ، وتوضح لهم مبادىء الشريعة . . وتحول بينهم وبين مرشديهم ورجال الدين فيهم . . ففي تقديري أنهم يستجيبون للحق ويؤمنون بالإسلام ، ويكونون أعضاء مخلصين صادقين في المجتمع المسلم .

وكم سمعنا عن شباب كانوا ينتمون في الأصل إلى طوائف باطنية . . فحينما تيسّر لهم من يعرفهم الإسلام على أنه عقيدة ونظام ، ومصحف وسيف ، ودين ودولة ، وعبادة وسياسة ، وتزكية وجهاد . . أقلعوا عن الأفكار الضالة التي توارثوها ، وكفروا بالمعتقدات الباطلة التي تلقّنوها . . وآمنوا بالإسلام إيماناً مخلصاً على أنه نظام حكم ، ومنهج حياة ، وأصبحوا من عداد الدعاة المخلصين ، والشباب العاملين ، الذين يبلّغون رسالات الله ويخشونه ، ولا يخشون أحداً إلا الله .

فعلى العلماء العاملين ، والجماعات الإسلامية المخلصة :

أن ينهضوا بمسؤوليتهم في تبليغ الدعوة الإسلامية ، لينتشلوا هذا الجيل المنحدر من طوائف باطنية من الكفر إلى الإسلام ، ومن الإلحاد إلى الإيمان ، ومن الضلال إلى الهدى . . لما وهبه الله من فطرة نقية ، وعقل مميّز ، وحواس سليمة ، واستعداد طيب . . وكلها منافذ إلى تقبّل الحق ، والاستجابة لدين الله . .

فمزيداً من الجهد والعمل والتبليغ - يا علماء الإسلام ويا دعاته المخلصين - حتى نرى هذا الجيل قد أخلص لله ، وثاب إلى الحق ، وقبل هدى الله ، ودخل حقيقة في الإسلام . . لأن يهدي الله على أيديكم رجلاً واحداً خير لكم مما طلعت عليه الشمس وغربت ، والله يتولى العاملين المخلصين .

ثالثاً - موقف الإسلام من النفاق المصلحي :

سبق أن قسمنا نفاق المصلحة إلى قسمين :

أ - نفاق المفسدين .

ب - نفاق الموالين .

والآن سنعرج إلى حكم الإسلام في كل صنف وعلى الله قصد السبيل :

سبق أن ذكرنا أن نفاق المفسدين مرتبط بفئة من الناس تظاهرت بالإسلام ، وأبطنت الكفر لتصل إلى غايتها في الوصول إلى الملك والسيادة ، وتفريق وحدة الأمة ، وبث روح الفساد والفتنة . .

فما دام هؤلاء غير ظاهرين على حقيقتهم ، وغير متحرّكين في نفاقهم . . فإننا نأخذ بظاهرهم ونعتبرهم مسلمين ونوكل إلى الله أسرارهم . .

أما إذا ظهر شيء من أمر نفاقهم ، فإن كان ذا عقيدة مكفّرة فإنه تجري عليهم أحكام المرتد ، وإن كان ذا عمل مفسّق فإنهم يعزّرون بعقوبات تأديبية زاجرة تكون عبرة لهم ولغيرهم .

وإن كان ذا عمل إفسادي مرتبط بجماعة من المفسدين في الأرض تجري في حقهم أحكام المفسدين في الأرض من قتل أو قطع أو نفي . .

وأحياناً قد يعدل الحاكم المسلم عن قتل مَنْ ظهر كفره ونفاقه لسياسة شرعية . . كأن يترتب على قتله فتنة أو يحدث في الأمة بلبلة . . كما عدل النبي ﷺ عن قتل عبد الله بن أبي سلول ، لما ظهر كفره ونفاقه في غزوة بني المصطلق حيث تكلّم في حق

النبي ﷺ كلاماً قبيحاً ، وهذا الكلام الذي قاله يعدّ مسوّغاً شرعياً لأن يأمر النبي ﷺ بقتله بحسب الظاهر .

أما عن حكم الإسلام في نفاق الموالين :

فقد سبق أن ذكرنا أنهم فئة من الناس تدّعي أنها مؤمنة بأحقية هذا الدين ، وعظمة هذا الإسلام ، ولكن أعطت ولاءها وانقيادها لحزب كافر ، أو فئة ضالة من أجل رخيص ، أو عَرَض من الدنيا قليل ، أو مصلحة شخصية يسعون إليها ! .

وبتقديري أن هذا الصنف من الناس كثير وكثير في هذا الزمن الذي تعددت فيه المصالح ، وتنوعت الغايات ، وأصبح أكثر الناس ينظرون إلى المادة على أنها إلههم المعبود ، وينظرون إلى الجاه على أنه غايتهم المقدسة ، وينظرون إلى مصلحتهم الشخصية على أنها أمنية الحياة . . ولو كان ذلك كله على حساب عقيدتهم الحقّة ، وإسلامهم العظيم !! .

ماذا نقول عن هؤلاء؟ هل هم مؤمنون أم غير ذلك ؟

هذا ما نريد الإجابة عليه بشيء من التفصيل :

النبي ﷺ كما روى الإمام أحمد أنكر على عمر رضي الله عنه

حينما رآه مرة يقرأ في كتاب أصابه من بعض أهل الكتاب ، فما كان منه إلا أن قال « أتتهوّكون فيها(أي : أتتشككون في ملتكم) يا ابن الخطاب ؟ والذي نفسي بيده لو أن موسى كان حياً ما وسعه إلا أن يتبعني » .

- وهو الذي أنكر على أناس من المسلمين كتابتهم مما سمعوه من اليهود - كما روى أبو داود وابن جرير - فما كان منه عليه الصلاة والسلام إلا أن قال لهم : « كفى بقومٍ حُمْقاً أو ضلالةً أن يرغبوا عما جاء به نبيهم إليهم إلى ما جاء به غيره إلى غيرهم ، فأنزل الله هذه الآية من سورة العنكبوت : ﴿ **أو لم يكفهم أنّا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم إن في ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون** ﴾[١] .

- وهو الذي أنكر على حفصة رضي الله عنها - كما روى البيهقي - حين جاءت إليه بكتاب من قصص يوسف عليه السلام وما كان منه إلا أن غضب وقال : « والذي نفسي بيده لو أتاكم يوسف وأنا بينكم فاتبعتموه وتركتموني ضللتُم ، أنا حظكم من النبيين ، وأنتم حظي من الأمم » .

---

(١) آية : ٥١ .

فمن هذه النصوص يتبين أن النبي ﷺ أنكر على أصحابه قراءة كتب منْ قبلنا حتى تتميز أمة الإسلام على غيرها من الأمم في أصالة عقيدتها ، وعظمة تشريعها . . وحتى لا ترتبط بفكر غير فكرها ، وبمنهج غير منهجها !! .

فإذا كان هذا هو الحال فيمن يقرأ كتب مَنْ قبلنا ـ مع ما فيها من الحق ـ فكيف بمن يقرّ ويعترف بأنظمة ومبادىء ما أنزل الله بها من سلطان ؟

وكيف بمن ينتسب إلى أحزاب كافرة ، وهيئات ضالة . . تدعو جهاراً نهاراً إلى مبادىء تهدم العقيدة الإسلامية ، وتناهض نظام الإسلام ؟ وكيف بمن يكثّر سواد قوم لا يرقبون في مؤمن إلاً ولا ذمة ، ولا يرجون لله وقاراً ؟

لاشك أن ضلاله أكبر ، وانحرافه عن الحق أعظم !! .

فلنستمع إلى ما يقوله القرآن الكريم عن هذه الزمرة المنافقة التي تبتغي من الكفار العزّة ، وتلتمس بالانتساب إليهم المصلحة : ﴿ **بشّر المنافقين بأن لهم عذاباً أليماً * الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين أيبتغون عندهم العزّة**

فإن العزّة لله جميعاً ﴾[١] .

ولنستمع إلى ما ذكره القرآن الكريم عن مصير أقوام سمعوا آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها وهم ينتسبون إليهم ، ويرضون عنهم ، ويجالسونهم في نواديهم : ﴿ **وقد نزّل عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا فى حديث غيره إنكم إذاً مثلهم إن الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعاً** ﴾[٢] .

هل هم مؤمنون أم غير ذلك ؟

الله سبحانه ينهى بشكل لا يقبل الالتباس والشك أن نتخذ الذين كفروا أولياء نلقي إليهم بالمودة سواء أكان هؤلاء أهل كتاب أو مشركين أو ملحدين . .

وإليكم باقة من آيات الله تنهى كل النهي عن اتخاذ الكافرين أولياء :

---

(١) سورة النساء : ١٣٨ ، ١٣٩ .

(٢) سورة النساء : ١٤٠ .

- يقول الله تعالى في سورة المجادلة : ﴿ **لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادّون من حادّ الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو أخوانهم أو عشيرتهم . .** ﴾[1] .

ويقول في سورة الممتحنة : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تُلقون إليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق . . .** ﴾[2] .

- يقول في سورة المائدة : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولّهم منكم فإنه منهم إن الله لا يهدي القوم الظالمين** ﴾[3] .

- ويقول في سورة التوبة : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم وإخوانكم أولياء إن استحبوا الكفر على الإيمان ومن يتولهم منكم فأولئك هم الظالمون** ﴾[4] .

---

(١) آية : ٢٢ .

(٢) آية : ١ .

(٣) آية : ٥١ .

(٤) آية : ٢٣ .

وعلى المسلم أن لا يفهم من قوله تعالى : ﴿ **إلا أن تتقوا منهم تقاة** ﴾ **في آية** : ﴿ **لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء إلا أن تتقوا منهم تقاةً . .** ﴾(١) .

أقول : عليه ألّا يفهم جواز الانتساب إلى الكافرين لاتقاء شرهم وأذاهم . . لا ، لا ؛ وإنما معني الآية الكريمة أننا إذا كنا مع قوم كفار ، أو كانت لهم الغلبة علينا في حرب قائمة . . يُرخّص للمسلمين مداراتهم باللسان مخافة وقوع الضرر في عرض أو مال أو نفس . . على ألّا تنطوي قلوبهم على شيء من مودتهم ، بل يدارونهم وهم لهم كارهون . . وكذلك عليهم ألا يعملوا ما هو محرّم كشرب الخمر ، وإطلاعهم على عورات المسلمين ، والانحياز في مجافاة بعض المؤمنين !! .

فلا رخصة إذن ـ كما يدل عليه سياق الآية ـ إلا في المدارة باللسان فقط دون أن يكون للمحبة القلبية في النفس المؤمنة أي نصيب !! .

أما أن ينتسب إلى زمرة الكافرين أو الملحدين أو أصحاب

---

(١) آل عمران : ٢٨ .

المذاهب الضالة . . طائعاً مختاراً ، ويجلس في نواديهم دونما مبرر أو ضرورة ، ويكثّر من سوادهم بدافع الغاية والمصلحة ، ويقوّي شوكتهم باسم الفائدة والمنفعة . . فإنما يبرهن بشكل قاطع لا يقبل الجدل على أنه يعمّق في الأمة المحمدية كفرهم وضلالهم ، ويرسّخ في المجتمع الإسلامي ظلمهم وإلحادهم .

والله سبحانه ينهى أن يكون المسلم ظهيراً للكافرين ، وسنداً للمجرمين :

﴿ فلا تكوننّ ظهيراً للكافرين ﴾ (١) .**﴿ فلن أكون ظهيراً للمجرمين ﴾** (٢) .

وهل من خيانة للإسلام أعظم من أن يجري المسلم وراء أقوام لا يرجون لله وقاراً ، ولا يرقبون في مؤمن إلّا ولا ذمة ، وليس لهم من مهمة سوى أن يعيثوا في الأرض فساداً ، ويقطعوا ما أمر الله به أن يوصل ، ويحاربوا نظام الإسلام ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً . . ألا فليسمع أولئك المنافقون المصلحيون إلى ما ينهى عنه القرآن الكريم من خيانة ، وما يحذّر به من موالاة ، عسى أن

---

(١) القصص : ٨٦ .

(٢) القصص : ١٧ .

يتوبوا من خيانتهم ، ويكفّوا عن موالاتهم ! ؟ .

- يقول تعالى في سورة الأنفال : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون** ﴾[١] .

- ويقول في سورة المائدة : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هُزُواً ولعباً من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم والكفار أولياء واتقوا الله إن كنتم مؤمنين** ﴾[٢] .

إلى غير ذلك من هذه الآيات البينات التي سبق أن ذكرناها واستشهدنا بها . . .

والذي أخلص إليه بعد ما تقدم :

أن هؤلاء المنافقين الموالين المصلحيين لا يمكن أن نسميهم مؤمنين ، ولا ندخلهم في زمرة المسلمين بعد أن انتسبوا بمحض اختيارهم وإرادتهم إلى أحزاب الكفر ، ومذاهب الضلال . . وبعد أن أعطوا ولاءهم وطاعتهم وانقيادهم إلى رؤساء الزيغ والإلحاد . .

---

(١) آية : ٢٧ .

(٢) آية : ٥٧ .

والله سبحانه يقول : ﴿ **ومن يتولهم منكم فإنه منهم إن الله لا يهدي القوم الظالمين** ﴾ [١] .

ويقول: ﴿**ومن يتولّهم منكم فأولئك هم الظالمون**﴾[٢] .

فياويل أولئك الذين أعطوا للكافرين أو الملحدين أو الضالين . . طاعتهم وولاءهم يقوون في الأمة شوكتهم ، ويكثّرون في المجتمع سوادهم . . فياويلهم من عذاب يوم عظيم في يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون !! .

قال تعالى في سورة النساء : ﴿ **بشّر المنافقين بأن لهم عذاباً أليما * الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين أيبتغون عندهم العزة فإن العزة لله جميعاً ؟ . .** ﴾[٣] .

﴿ **ياأيها الذين آمنوا لا تتخذوا الكافرين أولياء من دون المؤمنين أتريدون أن تجعلوا لله عليكم سلطاناً**

---

(١) سورة المائدة : ٥١ .

(٢) سورة التوبة : ٢٣ .

(٣) ١٣٨، ١٣٩ .

مبيناً ﴾[١] .

﴿ إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار ولن تجد لهم نصيراً * إلا الذين تابوا وأصلحوا واعتصموا بالله وأخلصوا دينهم لله فأولئك مع المؤمنين وسوف يؤت الله المؤمنين أجراً عظيماً ﴾[٢] .

لاشك أن هؤلاء المنافقين المصْلَحيّين الموالين إذا تابوا من نفاقهم ، وأصلحوا في أعمالهم ، وأخلصوا دينهم لله فأولئك يكونون من زمرة المؤمنين ، وسوف يؤت الله المؤمنين الصادقين المخلصين أجراً عظيماً ، وينصرهم نصراً عزيزاً .

☆ ☆ ☆

---

(١) آية : ١٤٤ .

(٢) آية : ١٤٥ ، ١٤٦ .

نهاية المطاف

هذا هو الإسلام في نظرته إلى حرية الاعتقاد ، وموقفه من الأديان وسائر الملل .

- فهو دين ختم الله به الرسالات السابقة ، والشرائع المنزلة .

- وهو دين يتسم بالربانية لأنه تنزيل من حكيم حميد .

ويتسم بالعالمية لأنه شريعة البشرية جمعاء .
ويتسم بالشمول لأنه تنزل لمناهج الحياة .
ويتسم بالعطاء لأنه يفي بحاجات البشرية في كل زمان ومكان .
ويتسم بالخلود لأنه يحمل في طبيعته بذور نمائه واستمراره إلى يوم الدين .

- وهو دين يتصف صاحبه (عليه الصلاة والسلام) بالصدق بشهادة المنصفين من الأحبار والرهبان ، وشهادة الجاهلين من أبناء قومه وعشيرته ، وشهادة كتب التوراة والإنجيل ، وشهادة الإعجاز القرآني الذي يتحدى البشرية في كل زمان ومكان .

- وهو دين لم يكره أحداً على الدخول فيه بسلطان السيف وقوة الإكراه .

- وهو دين أعطى أهل الكتاب والوثنيين غير العرب من الحقوق العادلة السمحة مالا يمكن أن تحلم به أية أقلية تعيش في ظل دولة لها نفوذ وسلطان .

وهو دين يقف من الملحدين والمنافقين والمرتدين موقفاً حازماً شديداً لا هوادة فيه ولا رحمة .

☆ ☆ ☆

ولا بد لي في الختام أن أثبت في هذا البحث ما كتبه أخي المخلص الشيخ سعيد حوى في كتابه « جند الله ثقافة وأخلاقاً » حول من يحاربون الإسلام من مرتدين وملحدين ومنافقين . . تتميماً للبحث والفائدة، يقول حفظه الله في صفحة: ٤٣٨، مع بعض التصرف

(إن أرض الإسلام ينبغي أن تكون محررة صافية إلا من مسلم صادق ، أو ذميّ معاهد ، وما عداهم من مرتدين أو ملحدين أو منافقين .. فلا يصح أن يقرّ لهم قرار أو يكون لهم

استقرار في أرض الوحي والنبوات .

إننا لا نتحقق بصفة العزة على الكافرين في دار الإسلام : إلا إذا طبقنا أحكام الله فيهم ، فراعينا عقود ذمتنا ، وحاربنا من نقضها ، وطهرنا أرضنا من كل مرتدّ أفّاك أو ملحد مفسد . . حتى يعلم أعداء الإسلام أنهم لا حياة لهم في أرض الإسلام إلا بإسلام أو ذمّة .

أما أن يكون في المجتمع الإسلامي ملحدون ، ووجوديون ، وإباحيون مستحلّون لكل حرمة . .

أما أن يكون في أرض الاسلام زنادقة ، وباطنيون ، وفرق ضالة تدّعي الإسلام كالقرامطة ، والقاديانية ، والإسماعيلية . وغيرهم ممن على شاكلتهم . . ثم لا يبادون ولا يستأصلون .

أما أن يكون في بلاد الإسلام أحزاب كافرة ، ودعاة إلى مبادىء هدامة ثم لا يسحق أهل ذلك عن آخرهم .

أما أن يكون هذا كله فذلك دليل على أن المسلمين خلال العصور فقدوا صفة أساسية من صفاتهم وهي إظهار العزة على الكافرين التي مظهرها الشدة عليهم بتنفيذ أحكام الله فيهم في

دار الإسلام ، ودار الحرب على حدّ سواء !! .

ومن يوم ما فقدت الشخصية الإسلامية هذه الصفة تفكّك المجتمع الإسلامي ، وأُصيب بالذلة والدمار ، حتى استطاع اليهود بمعاونة (الماسون) في بلادنا أن يهدموا الخلافة الإسلامية ، واستطاع الباطنيون أن يسيطروا على بقعة من أرض الإسلام ، واستطاع الشيوعيون أن يضعوا أيديهم على كثير من بلاد المسلمين ، واستطاع اللادينيون أن يتحكّموا في أقطار ينتسب أهلها إلى الإسلام ، واستطاع النصارى أن يسيطروا على أجمل بقاع المسلمين ، واستطاع اليهود مرة أخرى أن يقيموا دولة في فلسطين ، وأن يغتصبوا المسجد الأقصى ، واستطاع آخرون وآخرون أن يفعلوا الكثير الكثير . . .

والجيل الإسلامي اليوم يعاني ما يعاني بسبب تساهل الأولين في تطبيق أحكام الله ، فإذا ما وقع المسلمون في هذا الخطأ مرة ثانية فإنه السفه المخزي ، والذلّة القاتلة .

إن علينا أن نطهر قلوبنا من الرحمة بالكافرين ، لأن الرحمة بهم إذلال للمؤمنين .

إن الرحمة بالكافرين نوع من أنواع الكفر ، إذ كيف نرحم

من يعادي ربنا ونبينا وشرعنا ، وينقض ذمتنا وعهدنا . . ؟
وكيف نرحم من أمرنا الله بأن نجاهدهم ونغلظ عليهم ؟ :

﴿ يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ﴾(١) .

إن من علامة الإيمان ألا تأخذنا رحمة بالزاني المحصن ، والزانية المحصنة ، وهما مؤمنان ، وأُمرنا أن نقتلهما رجماً بالحجارة بلا شفقة ولا رحمة ، كما أمرنا أن نجلدهما مئة جلدة إذا كانا غير محصنيْن ، قال تعالى في سورة النور : **﴿ الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين ﴾**(١) .

فكيف نرحم كافراً أراد للإسلام كيداً ؟ ، وكيف نرحم ملحداً عاث في الأرض فساداً ؟

إن الرحمة في غير موضعها ضعف وجبن ، ونعني بها الرحمة التي تمنعنا من تنفيذ حكم الله فيمن أضمروا الشر للإسلام ، ودبروا

---

(١) سورة التحريم : آية ٩ .

(١) آية : ٢ .

الكيد لأهله ، ولا تحل مشكلة المسلمين إلا إذا وُجِد الجيل الذي يستأصل من أرض الإسلام من يستحق الاستئصال من ملحدين ، وباطنيين ، وإباحيين ، وشيوعيين ، ولادينيين ، وصليبيين حاقدين ، وزنادقة مفسدين . . يستأصلهم وهو مرتاح الضمير ، قرير العين ، يعلم أنه يؤدي واجباً يؤجر عليه ، وينفذ أمراً يبتغي فيه رضوان الله .

إن وجود هذا الجيل المؤمن الواعي المجاهد . . هو الذي يحلّ مشاكل المسلمين ، وهو الذي يحقق العزة لهم ، والحاكمية للإسلام في مجتمعاتهم . .

أما مادام المسلمون يخافون خوض المعارك ويحجمون عن حمل كل سلاح يستطيعون حمله في وجوه أعداء بلادهم ودينهم ويحيدون عن ملء قلوب أعداء الله بالخوف والرهبة وانتزاع زمام المبادرة منهم وتخليص العباد من شرهم ومكرهم فإن المسلمين سيبقون لا محالة في ذلة مهينة ، واستعباد ذميم وإن المسلمين مكلفون شرعاً باستئصال الفساد وقمع الإلحاد وإزالة كل من يناصب الإسلام وأهله العداء من أرض الإسلام فإن مسؤوليتهم أمام الله شديدة وحسابهم يوم القيامة عسير .

وصدق الله العظيم القايل:﴿**وقفوهم إنهم مسؤولون** ﴾[١] .

﴿ **فَلَنَسْـــأَلَنَّ الـــذين أُرســل إليهم ولَنَسْـــأَلَنَّ المرسلين** ﴾[٢] .

﴿ **فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون** ﴾[٣] .

✡ ✡ ✡

---

(١) الصافات : ٢٤ .

(٢) الأعراف : ٦ .

(٣) الحجر : ٩٢ ، ٩٣ .

« اللهم طهر قلوبنا من النفاق ، وأعمالنا من الرياء ، وألسنتنا من الكذب ، وأعيننا من الخيانة ، إنك تعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور » .

« اللهم إنا نعوذ بك من الهمّ والحزن ، ونعوذ بك من العجز والكسل ، ونعوذ بك من الجبن والبخل ، ونعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال » .

« اللهم اشرح صدورنا بفيض الإيمان بك ، وجميل التوكل عليك ، وأحينا بمعرفتك ، وأمتنا على الشهادة في سبيلك . . » .

« اللهم اجعلنا من جنود الإسلام المخلصين ، ومن رجاله العاملين ، أذلة على المؤمنين ، أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم » .

« اللهم آمين » .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

الفهرس

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة